مصباح الشريعة

للإمام جعفر الصادق عليه السلام

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

مصباح الشريعة

مصباح الشريعة

للإمام جعفر الصادق عليه السلام

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول

في العبودية

قال الصادق عليه السلام : أُصول المعاملات تقع على أربعة أوجه : معاملة الله ، ومعـــاملة النفس ، ومعاملة الخلق ، ومعاملة الدنيا ، وكل وجه منها منقسم على سبعة أركان .

أما أُصول معاملة الله تعالى فسبعة أشياء : أداء حقه ، وحفظ حده ، وشكر عطائه ، والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه ، وتعظيم حرمته ، والشوق إليه .

وأُصول معاملة النفس سبعة : الخوف ، والجهد ، وحمل الأذى ، والرياضة ، وطلب الصدق والاخلاص ، وإخراجها من محبوبها ، وربطها في الفقر .

وأُصول معاملة الخلق سبعة : الحلم ، والعفو ، والتواضع ، والسخاء ، والشفقة ، والنصح ، والعدل والانصاف .

وأُصول معاملة الدنيا سبعة : الرضا بالدون، والايثار بالموجود، وترك طلب المفقود، وبغض الكثرة ، واختيار الزهد، ومعرفة آفاتها ، ورفض شهواتها مع رفض الرياسة.

فإذا حصلت هذه الخصال في نفس واحدة ، فهو من خاصة الله وعباده المقربين وأوليائه حقاً .

الباب الثاني

قال الصادق عليه السلام : العبودية جوهر كنهها الربوبية ، فما فقد من العبودية وجد في الربوبية ، ومـــا خفي عن الربوبية أُصيب في العبودية .

قال الله تعالى : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحقّ أوَلَمْ يَكفِ بربك أنه على كلِّ شيء شهيد) ، أي موجود في غيبتك وفي حضرتك .

وتفسير العبودية بذل الكل، وسبب ذلك منع النفس عما تهوى، وحملها على ما تكره ، ومفتاح ذلك ترك الراحة وحب العزلة ، وطريقة الافتقار إلى الله تعالى .

قال النبي ﷺ : أعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وحروف العبد ثلاثة : (ع ب د) فالعين علمه بالله ، والباء بونه عمن سواه ، والدال دنوه من الله تعالى بلا كيف ولا حجاب ، وأصول المعاملات تقع على أربعة أوجه كما ذكر في أول الباب الأول .

الباب الثالث

في غض البصر

قال الصادق عليه السلام : ما اغتنم أحد بمثل ما اغتنم بغض البصر ، لأن البصر لا يغض عن محارم الله تعالى ، ألا وقد سبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال .

سئل أمير المؤمنين عليه السلام بماذا يستعان على غض البصر ؟ فقال عليه السلام : بالخمود تحت السلطان المطلع على سرك ، والعين جاسوس القلوب وبريد العقل ، فغض بصرك عما لا يليق بدينك ويكرهه قلبك وينكره عقلك .

قال النبي صلى الله عليه وآله : غضوا أبصاركم ترون العجايب .

قال الله تعالى:(قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم ويحفظوا فروجهم) .

وقال عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين: إياكم والنظر إلى المحذورات فإنها بذر الشهوات وبنات الفسق .

قال يحيى عليه السلام : الموت أحب إلي من نظرة بغير واجب .

وقال عبد الله بن مسعود لرجل نظر إلى امرأة قد عادها في مرضها: لو ذهب عيناك لكان خيراً لك من عيادة مريضك ، ولا تتوفر عين يصيبها من نظر إلى محذور ألا وقد انعقد عقدة على قلبه من المنية ، ولا تنحل بإحدى الحالين : إما ببكاء الحسرة والندامة بتوبة صادقة ، وإما بأخذ نصيبه مما تمنى ونظر إليه ، فأخذ الحظ من غير توبة فيصيره إلى النار ، وأما التائب البالي بالحسرة والندامة عن ذلك فمأواه الجنة ومنقلبه الرضوان .

الباب الرابع

في المشي

قال الصادق عليه السلام : إن كنت عاقلاً فقدم العزيمة الصحيحة والنية الصادقة ، في حين قصدك إلى أي مكان أردت ، فإن النفس من التخطي إلى محذور وكن متفكراً في مشيك ومعبراً بعجائب صنع الله تعالى أينما بلغت ، ولا تكن مستهزءاً ولا متبختراً في مشيك . قال تعالى : ولا تمش في الأرض مرحاً الخ .. وغض بصرك عما لا يليق بالدين ، واذكر الله كثيراً فإنه قد جاء في الخبر ان المواضع التي يذكر الله فيها وعليها تشهد بذلك عند الله يوم القيامة وتستغفر لهم إلى أن يدخلهم الله الجنة ، ولا تكثرن

الكلام مع الناس في الطريق فإن فيه سوء الأدب ، واكثر الطرق مراصد الشيطان ومتجرته فلا تأمن كيده ، واجعل ذهابك ومجيئك في طاعة الله والسعي في رضاه ، فإن حركاتك كلها مكتوبة في صحيفتك .

قال الله تعالى : (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون) . وقال الله تعالى : (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) .

الباب الخامس

في العـــلم

قال الصادق عليه السلام: العلم أصل كل حال سني ومنتهى كل منزلة رفيعة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، أي علم التقوى واليقين .

وقال علي عليه السلام: اطلبوا العلم ولو بالصين ، فهو علم معرفة النفس وفيه معرفة الرب عز وجل .

قال النبي صلى الله عليه وآله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، ثم عليك من العلم بما لا يصح العمل إلا به وهو الاخلاص .

قال النبي صلى الله عليه وآله: نعوذ بالله من علم لا ينفع وهو العلم

الذي يضاد العمل بالاخلاص ، واعلم ان قليل العلم يحتاج إلى كثير العمل لأن علم الساعة يلزم صاحبه استعمال طول دهره .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : رأيت حجراً عليه مكتوب أقلبني فقلبته ، فإذا على باطنه مكتوب : من لا يعمل بما يعلم مشؤم عليه طلب ما لا يعلم ومردود عليه ما علم .

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إن أهون ما أنا صانع بعالم غير عامل بعلمه أشد من سبعين عقوبة باطنة إن أخرج من قلبه حلاوة ذكرى ، وليس إلى الله سبحانه طريق يسلك الا بعلم، والعلم زين المرء في الدنيا والآخرة ، وسائقه إلى الجنة وبه يصل إلى رضوان الله تعالى ، والعالم حقاً هو الذي ينطق فيه أعماله الصالحة وأوراده الزاكية وصدقه وتقواه ، لا لسانه ومناظرته ومعادلته وتصاوله ودعواه ، ولقد كان يطلب هذا العلم في غير هذا الزمان ، من كان

فيه عقل ونسك وحكمة وحياء وخشية ، وإنا نرى طالبه
اليوم من ليس فيه من ذلك شيء ، والعالم يحتاج إلى عقل
ورفق وشفقة ونصح وحلم وصبر وقناعة وبذل ، والمتعلم
يحتاج إلى رغبة وإرادة وفراغ ونسك وخشية وحفظ
وحزم .

الباب السادس

في الفتيــــاء

قال الصادق عليه السلام : لا يحل الفتياء لمن لا يصطفى من الله تعالى بصفاء سره وإخلاص عمله وعلانيته وبرهان من ربه في كل حال ، لأن من أفتى فقد حكم ، والحكم لا يصح إلا بإذن من الله عز وجل وبرهانه، ومن حكم بالخبر بلا معاينة فهو جاهل مأخوذ بجهله ومأثوم بحكمه كما دل الخبر ، العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء .

قال النبي صلى الله عليه وآله : أجرأكم على الفتياء أجرأكم على الله عز وجل ، أولا يعلم المفتي أنـه هو الذي يدخل بين الله تعالى وبين عباده وهو الحائر بين الجنة والنار .

قال سفيان بن عُيينة : كيف ينتفع بعلمي غيري وأنا قد حرمت نفسي نفعها ،ولا يحل الفتياء في الحلال والحرام بين الخلق، إلا لمن اتبع الحق من أهل زمانه وناحيته وبلده بالنبي ﷺ وعرف ما يصلح من فتياه .

قال النبي ﷺ :وذلك لربما ولعل ولعسى لأن الفتياء عظيمة .

قال أمير المؤمنين عليه السلام لقاض : هل تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : لا . قال : فهل أشرفت على مراد الله عز وجل في أمثال القرآن ؟ قال : لا . قال عليه السلام : إذاً هلكت وأهلكت، والمفتي يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقايق السنن وبواطن الاشارات والآداب والاجماع والاختلاف والاطلاع على أصول ما اجتمعوا عليه وما اختلفوا فيه ، ثم إلى حسن الاختيار ثم إلى العمل الصالح ثم الحكمة ثم التقوى ثم حينئذ ان قدر .

الباب السابع

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الصادق عليه السلام : من لم ينسلخ عن هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان ، ولم يدخل في كنف الله تعالى وأمان عصمته لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة فكلما أظهر أمراً يكون حجة عليه ولا ينتفع الناس به .

قال تعالى : (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُم) . ويقال له : يا خائن أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخيت عنه عنانك .

روي أن ثعلبة الأسدي سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن

هذه الآية : (يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا عَلَيْكم أَنفُسَكم لَا يُضرَّكم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُم) فقال رسول الله ﷺ : (وَأْمُرْ بِالَمعْرُوفِ وانْهِ عنِ الْمُنكَرِ واصْبِرْ علَى مَا أَصَابَكَ) حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع عنك أمر العامة وصاحب الأمر بالمعروف يحتاج أن يكون عالماً بالحلال والحرام فارغاً من خاصة نفسه ، مما يأمرهم به وينهاهم عنه ناصحاً للخلق رحيماً لهم رفيقاً بهم داعياً لهم باللطف وحسن البيان عارفاً بتفاوت أخلاقهم ، لينزل كلاً بمنزلته بصيراً بمكر النفس ومكائد الشيطان صابراً على ما يلحقه ، لا يكافيهم بها ولا يشكو منهم ولا يستعمل الحمية ، ولا يغتاظ لنفسه مجرداً نيته لله مستعيناً به تعالى ومبتغياً لوجهه ، فإن خالفوه وجفوه صبر وان وافقوه وقبلوا منه شكر مفوضاً أمره إلى الله ناظراً إلى عيبه .

الباب الثامن

في آفة العلماء

قال الصادق عليه السلام : الخشية ميراث العلم وميزانه ، والعلم شعاع المعرفة وقلب الإيمان ، ومن حرم الخشية لا يكون عالماً وأن يشق الشعر بمتشابهات العلم . قال الله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاء) .

وآفة العلماء ثمانية : الطمع والبخل، والرياء والعصبية، وحب المدح،والخوض فيما لم يصلوا إلى حقيقته،والتكلف في تزيين الكلام بزوائد الألفاظ ، وقلة الحياء من الله ، والافتخار ، وترك العمل بما علموا .

قال عيسى عليه السلام : أشقى الناس من هو معروف

بعلمه مجهول بعمله .

وقال النبي ﷺ : لا تجلسوا عنـد كل داع مدّع يدعوكم من اليقين إلى الشك ، ومن الاخلاص إلى الرياء ، ومن التواضع إلى الكبر ، ومن النصيحة إلى العداوة ، ومن الزهد إلى الرغبة ، وتقرّبوا إلى عـــالم يدعوكم إلى التواضع من الكبر ، ومن الرياء إلى الاخلاص ، ومن الشك إلى اليقين ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن العداوة إلى النصيحة ، ولا يصلح لموعظة الخلق إلا من جاوز هذه الآفات بصدقه وأشرف على عيوب الكلام ، وعرف الصحيح من السقيم وعلل الخواطر وفتن النفس والهوى .

قال علي عليه السلام : كن كالطبيب الرفيق الشفيق الذي يضع الدواء بحيث ينفع في الخبر .

سألوا عيسى بن مريم عليه السلام : يا روح الله مع من نجالس؟ قال عليه السلام : من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله .

الباب التاسع

في الرعاية

قال الصادق عليه السلام : من رعى قلبه عن الغفلة ونفسه عن الشهوة وعقله عن الجهل فقد دخل في ديوان المتنبهين ، ثم من رعى علمه عن الهوى ودينه عن البدعة وماله عن الحرام ، فهو من جملة الصالحين .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة وهو علم الأنفس ، فيجب أن يكون نفس المؤمن على كل حال في شكر أو عذر على معنى ، إن قبل ففضل وإن رد فعدل ، وتطالع الحركات في الطاعات بالتوفيق وتطالع السكون عن المعاصي بالعصمة ، وقوام

ذلك كله بالافتقار إلى الله تعالى والاضطرار اليه والخشوع والخضوع ومفاتحها الإنابة إلى الله تعالى مع قصر الأمل بدوام ذكر الموت وعيان الوقوف بين يدي الجبار، لأن ذلك راحة من الحبس ونجاة من العدو وسلامة النفس، وسبب الإخلاص في الطاعات التوفيق، وأصل ذلك أن يردّ العمر إلى يوم واحد.

قال رسول الله ﷺ: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة، وباب ذلك كله ملازمة الخلوة بمداومة الفكر، وسبب الخلوة القناعة وترك الفضول من المعاش، وسبب الفكر الفراغ، وعماد الفراغ الزهد، وتمام الزهد التقوى، وباب التقوى الخشية، ودليل الخشية التعظيم لله تعالى والتمسك بخالص طاعة في أوامره، والخوف والحذر مع الوقوف عن محارمه ودليلها العلم، قال الله عز وجل: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء).

الباب العاشر

في الشكر

قال الصادق عليه السلام : في كل نفس من أنفاسك شكر لازم لك بل ألف أو أكثر ، وأدنى الشكر رؤية النعمة من الله تعالى من غير علة يتعلق القلب بها دون الله عز وجل والرضا بما أعطى ، وأن لا تعصيه بنعمته وتخالفه بشيء من أمره ونهيه بسبب نعمته ، فكن لله عبداً شاكراً على كل حال ، تجد الله رباً كريماً على كل حال ؛ ولو كان عند الله تعالى عبادة تعبد بها عباده المخلصون أفضل من الشكر على كل لأطلق لفظة فيهم من جميع الخلق بها ، فلما لم يكن أفضل منها خصها من بين العبادات وخصّ أربابها فقال :

(وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور)،وتمام الشكر الاعتراف بلسان العزّ خالصاً لله عز وجل بالعجز عن بلوغ أدنى شكره ، لأن التوفيق في الشكر نعمة حادثة يجب الشكر عليها وهي أعظم قدراً وأعز وجوداً من النعمة التي من أجلها وفق له ، فيلزمك على كل شكر شكراً أعظم منه إلى ما لا نهاية له، مستغرقاً في نعمه عاجزاً قاصراً عن درك غاية شكره، فأنى يلحق العبد شكر نعمة الله ومتى يلحق صنيعه بصنيعه،والعبد ضعيف لا قوة له أبداً إلا بالله تعالى عز وجل ، والله تعالى غني عن طاعة العبد فهو تعالى قوي على مزيد النعم على الأبد، فكن لله عبداً شاكراً على هذا الوجه ترى العجب .

الباب الحادي عشر

في الخروج من المنزل

قال الصادق عليه السلام : إذا خرجت من منزلك فاخرج خروج من لا يعود ، ولا يكن خروجك إلا لطاعة أو سبب من أسباب الدين ، والزم السكينة والوقار واذكر الله سراً وجهراً .

سأل بعض أصحاب أبي ذر (ره) أهل داره عنه، فقالت خرج ، فقال : متى يرجع ، فقالت : متى يرجع من روحه بيد غيره ، ولا يملك لنفسه شيئاً واعتبر بخلق الله تعالى برّهم وفاجرهم أينما مضيت ، فاسأل الله تعالى أن يجعلك من خلص عباده الصادقين ويلحقك بالماضين منهم ويحشرك

في زمرتهم ، واحمده واشكره على ما جنّبك من الشهوات وعصمك من قبيح أفعـــال المجرمين وغضّ بصرك من الشهوات ومواضع النهي ، واقصد في مشيك وراقب الله في كل خلوة كأنك على الصراط جائز ، ولا تكن لفّاتاً وافش السلام لأهله مبتدئاً ومجيباً ، وأعن من استعان بك في حقّ وارشد الضال واعرض عن الجاهلين،وإذا رجعت منزلك فادخل دخول الميّت في القبر حيث ليس همته إلا رحمة الله تعالى وعفوه .

الباب الثاني عشر

في قراءة القرآن

قال الصادق عليه السلام : من قرأ القرآن ولم يخضع لله ولم يرق قلبه ولا ينشى حزناً ووجلاً في سره ، فقد استهان بعظم شأن الله تعالى وخسر خسراناً مبيناً .

فقارىء القرآن محتاج الى ثلاثة أشياء : قلب خاشع، وبدن فارغ ، وموضع خال ، فإذا خشع الله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم ، قال الله تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم) ، فإذا تفرّغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة ولا يعترضه عـــارض فيحرمه بركة نور القرآن وفوائده ، فإذا اتخذ مجلساً خالياً

واعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين : خضوع القلب وفراغ البدن استأنس روحه وسره بالله عز وجل، ووجد حلاوة مخاطبات الله تعالى عز وجل عباده الصالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون كراماته وبدايع اشاراته ، فإن شرب كأساً من هذا المشرب لا يختار على ذلك الحال حالاً وعلى ذلك الوقت وقتاً ، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة ، لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ومنشود ولايتك ، وكيف تجيب أوامره وتجتنب نواهيه وكيف تتمثل حدوده فإنه كتاب عزيز : (لَا يَأْتِيهُ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)، فرتله ترتيلاً وقف عند وعده ووعيده وتفكر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقع من اقامتك حروفه في اضاعة حدوده .

الباب الثالث عشر

في اللباس

قال الصادق عليه السلام : زين اللباس للمؤمن التقوى وأنعمه الإيمان ، قال الله تعالى : (وَلِبَاسُ التَّقْوىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ) ، وأما اللباس الظاهر فنعمة من الله تعالى تستر بها عورات بني آدم ، هي كرامة أكرم الله بها ذرية آدم ما لم يكرم بها غيرهم ، وهي للمؤمنين من إله لأداء ما افترض عليهم ، وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عز وجل بل يقربك من ذكره وشكره وطاعته، ولا يحملك على العجب والرياء والتزيين والتفاخر والخيلاء ، فإنها من آفات الدين ومورثه القسوة في القلب ، فإذا لبست ثوبك فاذكر ستر

الله عليك ذنوبك برحمته، والبس باطنك كما ألبست ظاهرك بثوبك، وليكن باطنك من الصدق في ستر الهيبة وظاهرك في ستر الطاعة ، واعتبر بفضل الله عز وجل حيث خلق أسباب اللباس ليستر العورات الظاهرة وفتح أبواب التوبة والانابة والاغاثة ليستر بها العورات الباطنة من الذنوب وأخلاق السوء ، ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك ما أعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك واصفح عما لا يعنيك حاله وأمره ، واحذر أن يفنى عمرك بعمل غيرك ويتجر برأس مالك غيرك فتهلك نفسك ، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل، وأوفر أسباب العقوبة في الآجل ، وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله تعالى ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله عز وجل ، فهو بمعزل عن الآفات غائص في بحر رحمة الله تعالى ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان، وما دام ناسياً لذنوبه جاهلا لعيوبه راجعاً إلى حوله وقوته لا يفلح إذاً أبداً .

الباب الرابع عشر

في الرياء

قال الصادق عليه السلام : لا ترائي بعملك من لا يحيي ويميت ولا يغني عنك شيئاً ، والرياء شجرة لا تثمر إلا الشرك الخفي وأصلها النفاق . يقال للمرائي عند الميزان خذ ثواباً تعدّ ثواب عملك ممن أشركته معي ، فانظر من تعبد وتدعو ومن ترجو ومن تخاف،واعلم أنك لا تقدر على إخفاء شيء من باطنك عليه تعالى وتصير مخدوعاً بنفسك .

قال الله تعالى : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) ، وأكثر ما يقع

الرياء في البصر، والكلام، والأكل، والشرب، والمجيء والمجالسة، واللباس، والضحك، والصلاة، والحج، والجهاد، وقراءة القرآن، وسائر العبادات الظاهرة. فمن أخلص باطنه لله تعالى وخشع له بقلبه ورأى نفسه مقصراً بعد بذل كل مجهود وجد الشكر عليه حاصلاً، ويكون من يرجو له الخلاص من الرياء والنفاق إذا استقام على ذلك في كل حال.

الباب الخامس عشر
في الصدق

قال الصادق عليه السلام : الصدق نور متشعشع في عالمه ، كالشمس يستضيء بها كل شيء بمعناها من غير نقصان يقع على معناها ، والصادق حقاً هو الذي يصدق كل كاذب بحقيقة صدق ما لديه وهو المعنى الذي لا يسع معه سواه أو ضده مثل آدم على نبينا وآله و عليه السلام صدق إبليس في كذبه حين أقسم له كاذباً لعدم ما به من الكذب في آدم .

قال الله تعالى : (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) لأن إبليس أبدع شيئاً كان أول سن أبدعه ، وهو غير معهود ظاهراً وباطناً فحشر هو بكذبه على معنى لم ينتفع به من صدق آدم عليه السلام على بقاء الأبد ، وأفاد آدم عليه السلام بتصديقه كذبه بشهادة الله عز وجل له ينفي عزمه عما يضاد عهده في

الحقيقة على معنى لم ينتقص من اصطفائه بكذبه شيئاً ، فالصدق صفة الصادق حقيقة الصدق يقتضي تزكية الله تعالى لعبده كما ذكر عن صدق عيسى عليه السلام في القيمة بسبب ما أشار اليه من صدقه وهو براءة الصادقين من رجال أمة محمد صلى الله عليه وآله ، فقال تعالى : (هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الصدق سيف الله في أرضه وسمائه أينما هوى به يقدّه ، فإذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في صدق معناك وعقد دعواك وعيّرهما بقسطاس من الله تعالى كأنك في القيامة ، قال الله تعالى : (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) ، فإذا اعتدل معناك بفوز دعواك ثبت لك الصدق ، وأدنى حد الصدق أن لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ، ومثل الصادق الموصوف بما ذكرناه كمثل النازع لروحه إن لم ينزع فماذا يصنع .

الباب السادس عشر

في الاخلاص

قال الصادق عليه السلام : الاخلاص بجميع فواضل الأعمال وهو معنى افتتاحه القبول وتوقيعه الرضاء ، فمن تقبّل الله منه ويرضى عنه فهو المخلص ، وإن قلّ عمله ومن لم يتقبّل منه فليس بمخلص وإن كثر عمله اعتباراً بآدم عليه السلام وإبليس عليه اللعنة، وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل محاب مع إصابة علم كل حركة وسكون، والمخلص ذائب روحه باذل مهجته في تقويم ما به ، العلم والأعمال والعامل والمعمول بالعمل لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل ، وإذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه

في التوحيد كما قال الأول ، هلك العاملون إلا العابدون وهلك العابدون إلا العالمون وهلك العالمون إلا الصادقون وهلك الصادقون إلا المخلصون وهلك المخلصون إلا المتقون وهلك المتقون إلا الموقنون وإن الموقنين لعلى خلق عظيم .

قال الله تعالى : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)

وأدنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربه مكافأة لعلمه بعمله انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز ، وأدنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة .

الباب السابع عشر

في التقوى

قال الصادق عليه السلام : التقوى على ثلاثة أوجه : تقوى بالله وهو ترك الخلاف فضلاً عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص ، وتقوى من الله تعالى وهو ترك الشبهات فضلاً عن الحرام وهو تقوى الخاص ، وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام، ومثل التقوى كماء يجري في النهر ،ومثل هذه الطبقات الثلاث في معنى التقوى كأشجار مغروسة على حافة ذلك النهر من كل لون وجنس وكل شجرة منها تمتص الماء من ذلك النهر على قدر جوهره وطعمه ولطافته وكثافته ثم منافع الخلق من ذلك الأشجار والثمار على قدرها وقيمتها .

قال الله تعالى : (صِنْوَانٌ أَوْ غَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ). فالتقوى للطاعات كالماء للأشجار ، ومثل طبايع الأشجار والأثمار في لونها وطعمها مثل مقادير الإيمان ، فمن كان أعلى درجة في الإيمان وأصفى جوهرة بالروح كان أتقى ، ومن كان التقى كانت عبادته أخلص وأطهر ، ومن كان كذلك كان من الله أقرب ، وكل عبادة مؤسسة على غير التقوى فهي هباء منثوراً .

قال الله تعالى : (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) ، وتفسير التقوى ترك ما ليس بأخذه بأس حذراً مما به البأس ، وهو في الحقيقة طاعة بلا عصيان وذكر بلا نسيان وعلم بلا جهل مقبول غير مردود.

الباب الثامن عشر

في الورع

قال الصادق عليه السلام: اغلق أبواب جوارحك عما يقع ضرره إلى قلبك ويذهب بوجاهتك عند الله تعالى ويعقب الحسرة والندامة يوم القيامة، والحياء عما اجترحت من السيئات.

والمتورع يحتاج إلى ثلاثة أصول: الصفح عن عثرات الخلق أجمع، وترك خطيته فيهم، واستواء المدح والذم؛ وأصل الورع دوام محاسبة النفس وصدق المقاولة وصفاء المعاملة، والخروج من كل شبهة، ورفض كل عيبة وريبة

ومفارقة جميع ما لا يعنيه ، وترك فتح أبواب لا يدري كيف يغلقها ، ولا يجالس من يشكل عليه الواضح ، ولا يصاحب مستخفا الدين ، ولا يعارض من العلم ما لا يحتمل قلبه ، ولا يتفهمه من قائله ويقطعه عمن يقطعه عن الله عز وجل تعالى شأنه .

الباب التاسع عشر

في المعاشرة

قال الصادق عليه السلام : حسن المعاشرة مع خلق الله تعالى في غير معصيته من مزيد فضل الله تعالى عند عبده ، ومن كان مخلصاً خاضعاً لله في السر كان حسن المعاشرة في العلانية، فعاشر الخلق لله تعالى ولا تعاشرهم لنصيبك لأمر الدنيا ولطلب الجاه والرياء والسمعة ، ولا تسقطن لسببها عن حدود الشريعة من باب المماثلة والشهرة،فإنهم لا يغنون عنك شيئاً وتفوتك الآخرة بلا فـــائدة ، فاجعل من هو الأكبر منك بمنزلة الأب والأصغر بمنزلة الولد والمثل بمنزلة الأخ ، ولا تدع ما تعلمه يقيناً من نفسك بما تشك

فيه من غيرك ، وكن رفيقاً في أمرك بالمعروف وشفيقاً في نهيك عن المنكر ، ولا تدع النصيحة في كل حال .

قال الله تعالى : (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً) ، واقطع عما ينسيك وصله ذكر الله تعالى ، وتشغلك عن طاعة الله الفتنة،فإن ذلك من أولياء الشيطان وأعوانه ، ولا يحملنك رؤيتهم إلى المداهنة عند الحق ، فإن في ذلك خسراناً عظيماً نعوذ بالله تعالى .

الباب العشرون

في النوم

قـال الصادق عليه السلام : نم نوم المعتبرين ولا تنم نوم الغافلين ، فإن المعتبرين من الأكياس ينامون استراحة ولا ينامون استبطاراً استبصاراً .

قال النبي صلى الله عليه وآله : تنام عيناي ولا ينام قلبي،وانوِ بنومك تخفيف مؤنتك على الملائكة واعتزال النفس عن شهواتها واختبر بها نفسك ، وكن ذا معرفة بأنك عاجز ضعيف لا تقـــدر على شيء من حركاتك وسكونك إلا بحكم الله وتقديره ، وان النوم أخو الموت واستدل بها على الموت الذي لا تجد السبيل إلى الانتباه فيه والرجوع إلى صلاح

ما فات عنك ، ومن نام عن فريضة أو سنة أو نافلة فإنه بسببها شيء فذلك نوم الغافلين وسيرة الخاسرين وصاحبه مغبون ، ومن نام بعد فراغه من أداء الفرائض والسنن والواجبات من الحقوق فذلك نوم محمود ، واني لا أعلم لأهل زماننا هـذا شيئاً إذا أتوا بهذه الخصال أسلم من النوم ، لأن الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة أحوالهم وأخذوا شمال الطريق ، والعبد ان اجتهد أن لا يتكلم كيف يمكنه أن لا يستمع إلا ما هو مانع له من ذلك ، وإن النوم من إحدى تلك الآلات .

قال الله تعالى : (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً) وإن في كثرته آفات ، وإن كان على سبيل ما ذكرنا ، وكثرة النوم يتولد من كثرة الشرب، وكثرة الشرب يتولد من كثرة الشبع وهما يثقلان النفس عن الطاعة ، ويقسيان القلب عن التفكر والخشوع واجعل كل نومك آخر عهدك من الدنيا ، واذكر الله

تعالى بقلبك ولسانك وحف طاعتك على شرك مستعيناً به
في الصيام إلى الصلاة ، إذا انتبهت فإن الشيطان يقول لك:
نم فإن لك بعد ليلاً طويلاً يريد تفويت وقت مناجاتك ،
وعرض حالك على ربك ولا تغفل عن الاستغفار بالأسحار
فإن للقانتين فيه أشواقاً .

الباب الواحد والعشرون

في الحج

قال الصادق عليه السلام : إذا أردت الحج فجرّد قلبك لله عز وجل من قبل عزمك من كل شاغل وحجب عن كل حاجب ، وفوض أمورك كلها إلى خالقك ، وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكونك وسلم لقضائه وحكمه وقدره وتدع الدنيا والراحة والخلق ، واخرج من حقوق يلزمك من جهة المخلوقين ، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك ، مخافة أن تصير ذلك أعداء ووبالاً ليعلم أنه ليس قوة ولا حيلة ولا حد إلا بعصمة الله تعالى وتوفيقه ، واستعد استعداد من

لا يرجو الرجوع واحسن الصحبة وراع أوقات فرائض الله تعالى وسنن نبيه ﷺ ومـــا يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء وإيثار الزاد على دوام الأوقات ، ثم اغتسل بماء التوبة الخـــالصة من الذنوب ، والبس كسوة الصدق والصفاء والخضوع والخشوع ، واحرم عن كل شيء يمنعك عن ذكر الله عز وجل ويحجبك عن طاعته .

ولبِّ بمعنى إجابة صافية خالصة زاكية لله عز وجل في دعوتك له متمسكاً بالعروة الوثقى ، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول حول البيت ، وهرول هرولة فراً من هواك وتبرءاً من جميع حولك وقوتك ، واخرج من غفلتك وزلاتك بخروجك إلى منى ، ولا تمن ما لا يحل لك ولا تستحقه ، واعترف بالخطأ بالعرفات ، وجدد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته وتقرب إليه ، واتقه بمزدلفة واصعد بروحك

إلى الملأ الأعلى بصعودك إلى الجبل ، واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة ، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والأفعال الذميمة عند رمي الجمرات ، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك ، وادخل في أمان الله تعالى وكنفه وستره وحفظه وكلائه من متابعة مرادك بدخول الحرم ، وزُر البيت متحففاً لتعظيم صاحبه ومعرفته وجلاله وسلطانه واستلم الحجر رضىً بقسمته وخضوعاً لعظمته ، ودع ما سواه بطواف الوداع ، وصفِّ روحك وسرك للقاء الله تعالى يوم تلقاه بوقوفك على الصفاء ، وكن ذا مروة من الله بفناء أوصافك عند المروة ، واستقم على شروط حجّك ووفاء عهدك الذي عاهدت ربك وأوجبته له يوم القيامة ، واعلم بأن الله لم يفترض الحجّ ولم يخصه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً) .

ولا شرع نبيه ﷺ في خلال المناسك على ترتيب ما

شرعه للاستعداد والاشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة ، وفصّل بيان السبق من دخول الجنة أهلها ، ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلى آخرها لأولي الألباب وأُولي النهى .

الباب الثاني والعشرون

في الزكاة

قال الصادق عليه السلام : على كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله تعالى ، بل على كل منبت شعر من شعرك ، بل على كل لحظة من لحظاتك زكاة .

فزكاة العين النظرة بالعبرة والغض عن الشهوات وما يضاهيها ، وزكاة الأُذن استماع العين والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة ومـا فيه نجاتك ، وبالاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة وأشباههما ، وزكاة اللسان النصح للمسلمين والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيرها ، وزكاة اليد البذل والعطاء

والسخاء بها أنعم الله عليك بـه ، وتحريكها بكتابة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى والقبض عن الشر ، وزكاة الرجل السعي في حقوق الله تعالى من زيارة الصالحين ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصلة الأرحام والجهاد ، وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك هذا مما تحمل القلوب فهمه والنفوس استعماله ومـا لا يشرف عليه إلا عباده المخلصون المقربون ، أكثر من أن تحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم ، اللهمَّ وفقني بما تحب وترضى .

الباب الثالث والعشرون

في النيّـــة

قال الصادق عليه السلام : صاحب النية الصادقة صاحب القلب السليم ، لأن سلامة القلب من هواجس المحذورات بتخليص النية لله تعالى في الأمور كلها . قال الله تعالى : (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونٌ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نيّة المؤمن خير من عمله . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إنما الأعمال بالنيّات ، ولكل امرىءٍ ما نوى ، فلا بد للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون ، لأنه إذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلاً ، والغافلون قد ذمهم

الله تعالى فقال : إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلّ سَبِيلًا وَقَالَ أُولَئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُون) .

ثم النية يبدو من القلب على قـــدر صفاء المعرفة ، وتختلف على حسب اختلاف الأوقات الايمان في معنى قوته وضعفه ، وصاحب النيـة الخالصة نفسه وهواه معـه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله تعالى والحياء منه وهو من طبعه وشهوته ومنيّة نفسه منه في تعب والناس منه في راحة.

الباب الرابع والعشرون

في الذكر

قال الصادق عليه السلام : من كان ذاكراً لله تعالى على الحقيقة فهو مطيع ومن كان غافلاً عنه فهو عاصٍ ، والطاعة علامة الهداية والمعصية علامة الضلالة وأصلهما من الذكر والغفلة ، فاجعل قلبك قبلة للسانك لا تحركه إلا باشارة القلب وموافقة العقل ورضى الايمان ، فإن الله تعالى عالم بسرك وجهرك ، وكن كالنازع روحه أو كالواقف في العرض الأكبر غير شاغل نفسك عما عناك بما كلفك به ربك في أمره ونهيه ووعده ووعيده ، ولا تشغلها بدون ما كلف به ربك واغسل قلبك بماء الحزن والخوف ، واجعل ذكر الله تعالى من أجلّ ذكره إياك فإنه ذكرك وهو غني عنك ،

فذكره لك أجل وأشهى وأثنى وأتم من ذكرك له وأسبق، ومعرفتك بذكره لك تورثك الخضوع والاستحياء والانكسار ، ويتولد من ذلك رؤية كرمه وفضله السابق، وتصغر عند ذلك طاعتك وإن كثرت في جنب منته ، وتخلص لوجهه ورؤيتك ذكرك له،تورثك الرياء والعجب والسفه والغلظة في خلقه وهو استكثار الطاعة ونسيان فضله وكرمه ، ولا تزداد بذلك إلا بعداً ولا تستجلب به على معنى الأيام إلا وحشة .

والذكر ذكران: ذكر خالص بموافقة القلب ، وذكر صادف لك بنفي ذكر غيره كما قال رسول الله ﷺ أنا لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فرسول الله ﷺ لم يجعل لذكر الله تعالى مقداراً عند علمه بحقيقة سابقة ذكر الله عز وجل من قبل ذكره له ، ومن دونه أولى فمن أراد أن يذكر الله تعالى فليعلم أنه ما لم يذكر الله العبد بالتوفيق لذكره لا يقدر العبد على ذكره .

الباب الخامس والعشرون

في آفة القرّاء

قال الصادق عليه السلام : المتقري بلا علم كالمعجب بلا مال ، ولا ملك يبغض الناس لفقره ويبغضونه لعجبه ، فهو أبداً مخاصم للخلق في غير واجب ، ومن خاصم الخلق في غير ما يؤمر به فقد نازع الخالقية والربوبية .

قال الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدىً وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) ، وليس أحد أشد عقاباً ممن لبس قميص الدعوى بلا حقيقة ولا معنى .

قال زيد بن ثابت لابنه : يا بنيّ لا يرى الله اسمك في ديوان القراء .

قال النبي ﷺ : وسيأتي على أمتي زمان تسمع فيه باسم الرجل خير من أن تلقي وان تلقي خير من أن تجرب.

وقال النبي ﷺ : أكثر منافقي أمتي قراءها، وكن حيث ندبت اليه وأمرت به واخف سرك في الخلق ما استطعت واجعل طاعتك لله تعالى بمنزلة روحك من جسدك ولتكن معبراً حالك ما تحققه بينك وبين بارئك واستعن بالله في جميع أمورك متضرعاً إلى الله في آناء ليلك وأطراف نهارك قال الله تعالى : (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) ، والاعتداء من صفة قرّاء زماننا هذا وعلامتهم ، فكن لله في جميع أمورك على وجل لئلا تقع في ميدان التمني فتهلك .

الباب السادس والعشرون

في بيان الحق والباطل

قال الصادق عليه السلام : اتقِ الله و كن حيث شئت ومن أي قوم شئت فإنه لا خلاف لأحدٍ في التقوى، والتقوى محبوب عند كل فريق وفيه اجتماع كل خير ورشد وهو ميزان كل علم وحكمة وأساس كل طاعة مقبولة ، والتقوى ماء ينفجر من عين المعرفة بالله تعالى يحتاج اليه كل فنٍّ من العلم، وهو لا يحتاج إلى تصحيح المعرفة بالخمود تحت هيبة الله تعالى وسلطانه ، ومزيد التقوى يكون من أصل اطلاع الله عز وجل على سر العبد بلطفه ، فهذا أصل كل حق . واما الباطل فهو ما يقطعك عن الله تعالى ، متفق عليه أيضاً كل فريق فاجتنب عنه وافرد سرك لله تعالى بلا علاقة .

قال رسول الله ﷺ : أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لبيد ، حيث قال :

ألا كل شيء ما سوى الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

فالزم ما اجتمع عليه أهل الصفاء والتقى والتقوى من أصول الدين وحقائق اليقين والرضا والتسليم ، ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك وقد اجتمعت الأمة المختارة بأن الله واحد ليس كمثله شيء ، وانه عدل في حكمه ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال في شيء من صنعه لِمَ ولا كان ولا يكون شيء إلا بمشيئته وإرادته ، وانه قادر على ما يشاء وصادق في وعده ووعيده وان القرآن كلامه وانه كان قبل الكون والمكان والزمان، وان أحداث الكون وفنائه عنده سواء ما ازداد باحداثه علماً ، ولا ينقص بفنائه ملكه عز سلطانه وجلّ سبحانه ، فمن أورد عليك ما ينقص هذا الأصل فلا تقبله وجرّد باطنك لذلك ترى بركاته عن قريب وتفوز مع الفائزين.

الباب السابع والعشرون

في معرفة الأنبيـــاء

قال الصادق عليه السلام : إن الله عز وجل مكن أنبيائه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته ، وعلّمهم من مخزون علمه وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه فــلا يشبه أحوالهم وأخلاقهم أحداً من الخلائق أجمعين ، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق اليه وجعل حبهم وإطاعتهم سبب رضائـه ، وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه وأمر كل قوم وفئة باتباع ملةرسولهم ، ثم أبى أن يقبل طاعة إلا بطاعتهم وتمجيدهم ومعرفـة حبهم وتبجيلهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله تعالى ، فعظم جميع أنبياء الله ولا تنزلهم

منزلة أحد من دونهم ، ولا تتصرف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلا ببيان محكم من عنـد الله واجماع أهل البصائر بدلائل يتحقق بهـا فضائلهم ومراتبهم وأنى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله تعـــالى ، فإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين ، فقد أسأت صحبتهم وأنكرت معرفتهم وجهلت خصوصيتهم بالله ، وسقطت عن درجة حقائق الإيمان والمعرفة فإياك ثم إياك .

الباب الثامن والعشرون

في معرفة الأئمة عليهم السلام

قال الصادق عليه السلام : روي باسناد صحيح عن سلمان الفارسي (ره) قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظر إلي فقال صلى الله عليه وآله : يا سلمان إن الله عز وجل لن يبعث نبياً ولا رسولاً إلا وله إثنا عشر نقيباً ،قال قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله عرفت هذا من أهل الكتابين . قال : يا سلمان هل عرفت نقبائي الإثنا عشر الذين اختارهم الله تعالى للإمامة من بعدي ، فقلت الله ورسوله اعلم ، فقال : يا سلمان خلقني الله تعالى من صفوة نوره ودعاني فأطعته ، فخلق من نوري علياً ودعاه فأطاعه فخلق من نوري ونور

علي فاطمة ، ودعاها فأطاعته فخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن والحسين ، فدعاهما فأطاعاه فسمانا الله تعالى بخمسة أسماء من أسمائه ، فالله تعالى المحمود وأنا محمد والله العلي وهذا علي والله الفاطر وهذه فاطمة والله ذو الإحسان ، وهذا الحسن والله المحسن وهذا الحسين وخلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فاطاعوه من قبل أن يخلق الله تعالى سماء مبنية وأرضاً مدحية أو هواء أو ملكاً أو بشراً وكنا أنواراً نسبحه ونسمع له ونطيع ، قال فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما لمن عرف هؤلاء حق معرفتهم فقال يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم فوالاهم وتبرء من عدوهم كان والله منا يرد حيث نرد ويكن حيث نكن ، فقلت يا رسول الله ﷺ فهل ايمان بغير معرفتهم بأسمائهم وأنسابهم ، فقال لا يا سلمان ، قلت يا رسول الله ﷺ فأنى لي بهم ، فقال ﷺ قد عرفت الى الحسين عليه السلام قلت نعم ، قال رسول الله ﷺ ثم سيد العابدين

علي بن الحسين ، ثم ابنه محمـــد بن علي باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ، ثم جعفر بن محمـد لسان الله الصادق ، ثم موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في الله تعالى ، ثم علي بن موسى الرضا الراضي بسر الله تعـالى ، ثم محمد بن علي المختار من خلق الله ، ثم علي بن محمد الهادي إلى الله ، ثم الحسن بن علي الصامت الأمين على سر الله ، ثم ثم م ح م د سماه بابن الحسن الناطق القائم بحق الله تعالى، قال سلمان فبـكيت ثم قلت يا رسول الله ﷺ اني مؤجل إلى عهدهم قال يا سلمان اقرأ :

(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَـاداً أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ مَفْعُولاً . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِم وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُم أَكْثَرَ نَفِيراً) .

قال (ره) : فاشتد بكائي وشوقي قلت يا رسول الله

ﷺ : أبعهد منك ، فقال اي والذي بعثني وأرسلني لبعهد مني وبعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمة من ولد الحسين عليهم السلام وبك ومن هو منا ومظلوم فينا، وكل من محّض الإيمان محضاً ، اي والله يا سلمان ثم ليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض الكفر محضاً حتى يؤخذ بالقصاص والأوتاد والتراث ولا يظلم ربك أحداً ونحن تأويل هذه الآية: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) .

قال سلمان فقمت من بين يدي رسول الله ﷺ وما يبالي سلمان كيف لقي الموت أو لقاه .

الباب التاسع والعشرون

في معرفة الصحابة

قال الصادق عليه السلام: لا تدع اليقين بالشك والمكشوف بالخفي، ولا تحكم ما لم تره بما تروى عنه قد عظم الله أمر الغيبة وسوء الظن بإخوانك من المؤمنين، فكيف بالجرأة على إطلاق قول واعتقاد زور وبهتان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال الله عز وجل: (تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ).

وما دمت تجد إلى تحسين القول والفعل في غيبتك

وحضرتك سبيلاً فلا تتخذ غيره. قال الله (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) ، واعلم أن الله تعالى اختار لنبيه عن أصحابه طائفة أكرمهم بأجلّ الكرامة وحلاّهم بحلية التأييد والنصر والاستقامة لصحبته على المحبوب والمكروه ، وأنطق لسان نبيه محمد ﷺ بفضائلهم ومناقبهم وكراماتهم واعتقد محبتهم واذكر فضلهم واحذر مجالسة أهل البدع فإنها تنبت في القلب كفراً وضلالاً مبيناً ، وان اشتبه عليك فضيلة بعضهم فكلهم إلى عالم الغيب وقل اللهم اني محب لمن أحببته أنت ورسولك ومبغض لمن أبغضته أنت ورسولك فإنه لم يكلف فوق ذلك .

الباب الثلاثون

في حرمة المؤمنين

قال الصادق عليه السلام : لا يعظم حرمة المؤمنين إلا من قد عظَّم الله حرمته على المؤمنين ، ومن كان أبلغ حرمة لله ورسوله كان أشد تعظيماً لحرمة المؤمنين ، ومن استهان لحرمة المؤمنين فقد هتك ستر إيمانه .

قال النبي صلى الله عليه وآله : إن من إجلال الله إعظام ذوي القربى في الإيمان .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من لم يرحم صغيراً ولا يوقر كبيراً فليس منا ولا تكفر مسلماً تكفرة التوبة إلا من ذكر الله في كتابه .

قال الله تعالى : (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ) . واشتغل بشأنك الذي أنت به مطالب .

الباب الواحد والثلاثين

في برّ الوالدين

قال الصادق عليه السلام : برّ الوالدين من حسن معرفة العبد بالله ، إذ لا عبادة أسرع بلوغاً لصاحبها إلى رضاء الله من برّ الوالدين المؤمنين لوجه الله تعالى ، لأن حق الوالدين مشتق من حق الله تعالى إذا كانا على منهاج الدين والسنة، ولا يكونان يمنعان الولد من طاعة الله إلى طاعتهما ومن اليقين إلى الشك ومن الزهد إلى الدنيا ، ولا يدعوانه إلى خلاف ذلك فإذا كان كذلك فمعصيتهما طاعة وطاعتهما معصية .

قال الله تعالى : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ

بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُم) .

وأما في باب المصاحبة فقاربهما وارفق بهما واحتمل أذاهما بحق ما احتملا عنك في حال صغرك ولا تضيق عنهما في ما قد وسع الله تعالى عليك من المأكول والملبوس ، ولا تحول وجهك عنهما ولا ترفع صوتك فوق صوتهما، فإن تعظيمهما من أمر الله، وقل لهما بأحسن القول والطف بهما فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

الباب الثاني والثلاثين

في التواضع

قـــال الصادق عليه السلام : التواضع كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب ، والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ، ومن تواضع لله شرّفه الله على كثير من عباده ولأهل التواضع سيماء ، سئل بعضهم عن التواضع ؟ قال هو أن يخضع للحق وينقاد له ولو سمعه من صبي وكثير من أنواع الكبر يمنع من استفادة العلم وقبوله والانقياد له ، وفيه وردت الآيات التي فيها ذم المتكبرين ، ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماوات من الملائكة

وأهل الأرضين من العارفين .

قال الله تعالى : (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ) .

وقال تعالى أيضاً : (مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) .

وقال تعالى أيضا:(إِنَّ أَكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُم).
وقال تعالى : (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ) .

وأصل التواضع من جلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها إلا ويأبه التواضع ولا يعرف ما في معنى حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته .

قال الله عز وجل : (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ

عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً) .

وقد أمر الله تعالى أعز خلقه وسيد بريته محمداً بالتواضع فقال عز وجل :

(وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنَ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤمِنِين).

والتواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء ، وانهن لا يتبين إلا منها وفيها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلا للمتواضع في ذات الله تعالى .

الباب الثالث والثلاثين

في الجهـــل

قال الصادق عليه السلام : الجهل صورة ركّبت في الدنيا إقبالها ظلمة وإدبارها نور ، والعبد متقلّب معها كتقلّب الظل مع الشمس ، ألا ترى إلى الانسان تارة تجده جاهلاً بخصال نفسه حامداً لها عارفاً بعيبها في غيره ساخطاً لها ، وتارة تجده عالماً بطباعه ساخطاً لهـــا حامداً لها في غيره ، وهو متقلب بين العصمة والخذلان ، فإن قابلته العصمة أصاب وإن قابله الخذلان أخطأ ، ومفتاح الجهل الرضا والاعتقاد به ، ومفتاح العلم الاستبدال مع اصابة مرافقة التوفيق ،

وأدنى صفة الجاهل دعواه بالعلم بلا استحقاق ، وأوسطه جهله بالجهل وأقصاه جحوده بالعلم ، وليس شيء إثباته حقيقة نفيه إلا الجهل في الدنيا والحرص ، فالكل منهم كواحد والواحد منهم كالكل .

الباب الرابع والثلاثين

في الأكل

قال الصادق عليه السلام : قلة الأكل محمود في كل حال وعند كل قوم لأن فيه مصلحة للظاهر والباطن والمحمود من المأكولات أربعة: ضرورة ، وعدة ، وفتوح، وقوت، فالأكل الضروري للأصفياء ، والعدة لقوام الأتقياء ، والفتوح للمتوكلين ، والقوت للمؤمنين، وليس شيء اضر للقلب المؤمن من كثرته فيورث شيئين : قسوة القلب ، وهيجان الشهوة ، والجوع ادام للمؤمنين وغذاء للروح ، وطعام للقلب ، وصحة للبدن .

قال النبي صلى الله عليه وآله : ما ملأ ابن آدم وعاء أشر من بطنه .

وقال داود عليه السلام : ترك لقمة مع الضرورة اليها ، أحب إلي من قيام عشرين ليلة .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المؤمن يأكل في معاء واحد ، والمنافق في سبعة أمعاء .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : ويل للناس من القبقبين، قيل وما هما يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وآله البطن والفرج .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : ما أمرض قلب بأشد من القسوة وما اعتلَّت نفس بأصعب من نقص الجوع وهما زمامان للطرد والخذلان .

الباب الخامس والثلاثين

في الوسوسة

قال الصادق عليه السلام : لا يتمكن الشيطان بالوسوسة من العبد إلا وقد أعرض عن ذكر الله تعالى واستهان وسكن إلى نهيه ونسي اطلاعه على سره ، فالوسوسة ما تكون من خارج القلب باشارة معرفة العقل ومجـــاورة الطبع، وأما إذا تمكن في القلب فذلك غيٌّ وضلالة وكفر والله عز وجل دعا عباده بلطف دعوته وعرّفهم عداوة إبليس ، فقال تعالى : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً) ، فكن معه كالقريب مع كلب الراعي يفزع إلى صاحبه من صرفه عنه ، كذلك إذا أتاك الشيطان موسوساً

ليضلك عن سبيل الحق وينسيك ذكر الله تعالى ، فاستعذ منه بربك وبربه فإنه يؤيد الحق على الباطل وينصر المظلوم بقوله عز وجل : (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُون) ، ولن يقدر على هذا ومعرفة إتيانه ومذاهب وسوسته ، إلا بدوام المراقبة والاستقامة على بساط الخدمة وهيبة المطّلع وكثرة الذكر ، وأما المهمل لأوقاته فهو صيد الشيطان لا محالة ، واعتبر بما فعل بنفسه من الاغواء والاغترار والاستكبار حيث غرّه وأعجبه عمله وعبادته وبصيرته وجرأته عليه قد أورثه علمه ومعرفته واستدلاله بعقله اللعنة إلى الأبد ، فما ظنك بنصحه ودعوته غيره فاعتصم بحبل الله الأوثق وهو الالتجاء إلى الله تعالى ، والاضطرار بصحة الافتقار إلى الله في كل نفس ولا يغرنك تزيينه للطاعة عليك،فإنه يفتح عليك تسعة وتسعين باباً من الخير ليظفر بك عند تمام المائة فقابله بالخلاف والضد عن سبيله والمضادة باستهوائه .

الباب السادس والثلاثون

في العجب

قال الصادق عليه السلام : العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بمَ يختم له ، فمن أعجب بنفسه وفعله فقد ضلّ عن منهج الرشاد وادعى ما ليس له ، والمدّعي من غير حقٍ كاذب وان خفي دعواه وطال دهره ، فإن أول ما يفعل بالمعجب نزع ما أُعجب به ليعلم أنه عاجز حقير ويشهد على نفسه لتكون الحجة أوكد عليه كما فعل بابليس والعجب نبات حبه الكفر وأرضه النفاق ومائه البغي وأغصانه الجهل وورقه الضلال وثمرته اللعنة والخلود في النار فمن اختار العُجب، فقد بذر الكفر وزرع النفاق فلا بدّ من أن يثمر ويصير إلى النار .

الباب السابع والثلاثون

في السخاء

قال الصادق عليه السلام : السخاء من أخلاق الأنبياء وهو عماد الإيمان ولا يكون مؤمناً إلا سخياً ولا يكون سخياً إلا ذو يقين وهمّة عالية ، لأن السخاء شعاع نور اليقين من عرف ما قصد هان عليه ما بذل .

قال النبي صلى الله عليه وآله : ما جبل وليّ الله إلا على السخاء ، والسخاء ما يقع على كل محبوب أقله الدنيا ، ومن علامة السخاء أن لا يبالي من أكل الدنيا ، ومن ملكها مؤمن أو كافر ، ومطيع أو عاص ، وشريف أو وضيع ، يطعم غيره ويجوع ، ويكسو غيره ويعرى ، ويعطي غيره ويمتنع من قبول

عطاء غيره ويُمنَّ بذلك ولا يَمنُّ ولو ملك الدنيا بأجمعها ، لم يرَ نفسه فيها إلا أجنبياً ولو بذلها في ذات الله عز وجل في ساعة واحدة ما ملء

قال رسول الله ﷺ : السخي قريب من الله وقريب من الناس وقريب من الجنة بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة وقريب من النار ولا يسمى سخياً إلا الباذل في طاعـــة الله ولوجهه ولو كان برغيف أو شربة ماء .

قال النبي ﷺ : السخي بما ملك وأراد به وجه الله تعالى ، وأمـا المتسخي في معصية الله تعالى ، فمحال سخط الله وغضبه ، وهو أبخل الناس لنفسه فكيف لغيره حيث اتبع هواه وخالف أمر الله عز وجل .

قـال الله تعالى : (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ) .

وقال النبي ﷺ : يقول ابن آدم ملكي ملكي ومالي مالي ، يا مسكين أين كنت حيث كان الملك ولم تكن ، وهل لك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ، إما مرحوم به أو معاقب عليه فاعقل أن لا يكون مال غيرك أحب إليك من مالك ، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : ما قدّمت فهو للمالكين وما أخّرت فهو للوارثين ، وما معك ليس لك عليه سبيل سوى الغرور به كم تسعى في طلب الدنيا وكم تدّعي ، أفتريد أن تفقر نفسك وتغني غيرك ؟

الباب الثامن والثلاثون

في الحساب

قال الصادق عليه السلام : لو لم يكن للحساب محولة إلا حياء العرض على الله تعالى وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحقٌ للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوي إلى عمران ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف ومثل ذلك يفعل من يرى القيمة بأهوالها وشدائدها قائمة في كل نفس ويعاين بالقلب بالوقوف بين يدي الجبار حينئذٍ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنه إلى عرصاتها مدعو وفي غمراتها مسؤول .

قال الله تعالى : (وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ

أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) .

وقال بعض الأئمة : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم بميزان الحياء قبل أن توزنوا .

وقال أبو ذر (ره) : ذكر الجنة موتٌ وذكر النار موتٌ فوا عجبا لنفسٍ تحيا بين موتين .

وروى عن يحيى بن زكريا عليه السلام : انه كان يفكّر في طول الليل في أمر الجنة والنار فيسهر ليلته ولا يأخذه النوم ثم يقول عند الصباح اللهمَّ أين المفر وأين المستقر ، اللهمَّ لا مفر إلا إليك .

الباب التاسع والثلاثون

في افتتاح الصلاة

قال الصادق عليه السلام : إذا استقبل القبلة فآيس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه ، وفرّغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرّك عظمة الله عز وجل ، واذكر وقوفك بين يديه .

قال الله تعالى : (يَومَ تَبْلوا كُلّ نَفْسٍ بما أسلَفَتْ وَرُدّوا إلى اللهِ مَوْلاهُمُ الحقّ) ، وقف على قدم الخوف والرجاء ، فإذا كبرت فاستصغر ما بين السموات العُلى والثرى دون كبريائه ، فإن الله تعالى إذا أطلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره ،

فقـــال : يا كذاب أتخدعني وعزتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ولأحجبنّك عن قربي والمسرة بمناجاتي .

واعلم أنه تعالى غير محتاج إلى خدمتك وهو غني عنك وعن عبادتك ودعائك ، وإنما دعاك بفضله ليرحمك ويبعدك عن عقوبته وينشر عليك من بركات حنانيته ويهديك إلى سبيل رضاه ويفتح عليك باب مغفرته فلو خلق الله عز وجل على ضعف ما خلق من العوالم أضعافاً مضاعفة على سرمد الأبد لكان عند الله سواء أكفروا به بأجمعهم أو وحّدوه فليس له من عبادة الخلق إلا إظهار الكرم والقدرة ، فاجعل الحياء رداءً والعجز إزاراً وادخل تحت سرير سلطان الله تعالى تغتنم فوائد ربوبيته مستعيناً به مستغيثاً إليه .

الباب الأربعين

في الركوع

قال الصادق عليه السلام : لا يركع عبدالله ركوعاً على الحقيقة إلا زينه الله بنور بهائه وأظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة صفائه ، والركوع أول والسجود ثان ، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني وفي الركوع أدب وفي السجود قربٌ ومن لا يحسن للأدب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله عز وجل متذلل بقلبه وجل تحت سلطانه خافض لله بجوارحه خفض خائف حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين. وحكى أن ربيع بن خُثَيم (ره) كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركوع واحد، فإذا أصبح تزفر وقال أوّه سبق

المخلصون واقطع بنا واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همّتك في القيام بخدمته إلا بعونه وفرّ بالقلب من وسوسة الشيطان وخدايعه ومكائده ، فإن الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم إلى أُصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرهم .

الباب الواحد والأربعون

في السجود

قال الصادق عليه السلام : ما خسروا الله تعالى قط من أتى بحقيقة السجود ولو كان في عمره مرة واحدة ، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه غافلاً لاهياً عمــــا أعدّ الله تعالى للساجدين من البشر العاجل وراحة الأجل ولا بعد عن الله تعالى أبــــداً من أحسن تقرّبه في السجود ولا قرب إليـه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعليق قلبه بسواه في حال السجود فاسجد سجود متواضع للهِ ذليل علم أنه خلق من تراب يطؤه الخلق وأنه ركّب من نطفة يستقذها كل أحد وكوّن ولم يكن ، ولقد جعل الله

معنى السجود سبب التقرّب إليه بالقلب والسر والروح ، فمن قرب منه بَعُدَ عن غيره ، ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء والإحجاب عن كلّ ما تراه العيون ، كذلك أراد الله تعالى أمر الباطن فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله تعالى فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله تعالى منه في صلاته .

قال الله تعالى : (مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) .

وقال رسول الله ﷺ : قال الله عزّ وجل: ما اطلع على قلب عبد فأعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلا توليّت تقويمه وسياسته وتقرّبت منه ، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه اسمه مكتوب في ديوان الخاسرين .

الباب الثاني والأربعون

في التشهد

قال الصادق عليه السلام : التشهّد ثناء على الله فكن عبداً له في السر خاشعاً خاضعاً له في الفعل كما أنك عبد له بالقول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء صدق سرك فإنه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك ، وأن تحقق عبوديتك له بربوبيته لك ، وتعلم أن نواصي الخلق بيده ، فليس لهم نفس ولا لحظة إلا بقدرته ومشيته وهم عاجزون عن اتيان أقل شيء في مملكته إلا باذنه وإرادته.

قال الله تعالى : (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أمرِهِم سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالى عمَّا

يُشرِكُونَ) فكن للّهِ عبداً ذاكراً بالقول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرّك فإنه خلقك، فعز وجل أن تكون إرادة ومشيئة لأحد إلا بسابق إرادته ومشيئته، فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته، وبالعبادة في أداء أوامره وقد أمرك بالصلاة على حبيبه النبي محمد ﷺ فأوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته وانظر لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلاته وأمره بالاستغفار لك والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والآداب وتعلم جليل مرتبته عند الله عزّ وجل.

الباب الثالث والأربعون

في السلام

قال الصادق عليه السلام : معنى التسليم في دبر كل صلاة معنى الأمان أي من أتى بأمر الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله خاضعاً له خاشعاً فيه فله الأمان من بلاء الدنيا والبرائة من عذاب الآخرة والسلام اسم من أسماء الله تعالى أودعه في خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والألصاقات وتصديق مصاحبتهم ومجالستهم فيما بينهم وصحة معاشرتهم فإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله تعالى وليسلم دينك وقلبك وعقلك لا تدنسها بظلم المعاصي ولتسلم منك حفظتك لا تبرّمهم ولا تملّهم وتوحشهم منك

بسوء معاملتك معهم ثم مع صديقك ثم مع عدوّك ، فإن من لم يسلم منه من هو أقرب إليه ، فالأبعد أولى ومن لا يضَعَ السلام مواضعه هذه ، فلا سلام ولا تسليم ، وكان كاذباً في سلامه ، وإن أفشاه في الخلق ، واعلم أن الخلق بين فتن ومحن في الدنيا ، إما مبتلى بالنعمة ليظهر شكره ، وإما مبتلى بالشدة ليظهر صبره والكرامة في طاعته والهوان في معصيته ولا سبيل إلى رضوانه ورحمته إلا بفضله، ولا وسيلة إلى طاعته إلا بتوفيقه ولا شفيع إليه إلا باذنه ورحمته.

الباب الرابع والأربعون

في التوبة

قال الصادق عليه السلام : التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بدّ للعبد من مداومة التوبة على كل حال ، وكل فرقة من العباد لهم توبة ، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر ، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات ، وتوبة الأصفياء من التنفيس، وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله تعالى ، وتوبة العام من الذنوب ، ولكل واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره ، وذلك يطول شرحه ها هنا ، فأما توبة العام فان يغسل باطنه بماء الحسرة والأعتراف بجنايته دائماً واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقى من

عمره ولا يستصغر ذنوبه ، فيحمله ذلك إلى الكسل وتديم البكاء والأسف على ما فاته من طاعة الله، ويحبس نفسه عن الشهوات ويستغيث إلى الله تعالى ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه عن العود إلى ما أسلف، ويراوض نفسه في ميدان الجهل والعبادة ، ويقضي عن الفوائت من الفرائض ويردّ المظالم ويعتزل قرناء السوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ويتفكّر دائماً في عاقبته ويستعين بالله سائلاً منه الاستقامة وسرّائه وضرّائه ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين ، فإن في ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في علمه ورفعة في درجاته .

قال الله تعالى شأنه العزيز : (وَلَيَعْلَمنَّ الله الذين صَدَقوا وَلَيَعْلَمنَّ اللهُ الكاذبين) .

الباب الخامس والأربعون

في العزْلة

قال الصادق عليه السلام : صاحب العزْلة متحصّن بحصن الله تعالى ومتحرّس بحراسته ، فيا طوبى لمن تفرّد به سرّاً وعلانية وهو يحتاج إلى عشرة خصال : علم الحق والباطل وتحبب الفقر ، واختيار الشدة ، والزهد ، واغتنام الخلوة والنظر في العواقب ، ورؤية التقصير في العبادة مع بذل المجهود ، وترك العجب ، وكثرة الذكر بلا غفلة ، فإن الغفلة مصطاد الشيطان ، ورأس كل بلية ، وسبب كل حجاب ، وخلوة البيت عما لا يحتاج إليه في الوقت .

قال عيسى بن مريم عليه السلام : أحرز لسانك لعمارة

قلبك وليسعك بيتك ، واحذر من الرياء وفضول معاشك واستحيي من ربك وابكِ على خطيئتك ، وفِرّ من الناس فرارك من الأسد والأفعى ، فإنهم كانوا دواء فصاروا اليوم داء ، ثم ألق الله تعالى متى شئت .

قال ربيع بن خيثم : إن استطعت أن تكون اليوم في موضع لا تعرف ولا تُعرف فافعل ، ففي العزْلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح الشيطان ومجانبة من كل سوء وراحة القلب ، وما من نبي ولا وصي إلا واختار العزلة في زمانه ، إما في ابتدائه وإما في انتهائه .

الباب السادس والأربعون

في الصمت

قال الصادق عليه السلام : الصمت شعار المحققين بحقائق ما سبق وجفّ القـــلم به وهو مفتاح كل راحة من الدنيا والآخرة وفيه رضى الله وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل ، وقد جعله الله ستراً على الجاهل وزيناً للعالم ، ومعه عزل الهوى ورياضة النفس وحلاوة العبادة وزوال قسوة القلب والعفاف والمروة والظرف ، فاغلق باب لسانك عما لك منه بدٌّ لا سيما إذا لم تجد أهلاً للكلام عـــدا المذاكرة لله وفي الله ، وكان ربيع بن خيثم يضع قرطاساً بين يديه فيكتب كل ما يتكلم به ثم يحاسب

نفسه في عشيّته ما له وما عليه ، ويقول آهٍ آهٍ نجا الصامتون يقيناً ، وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يضع الحصاة في فمه ، فإذا أراد أن يتكلم بما علم أنه لله وفي الله ، ولوجه الله أخرجها من فمه ، وإن كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا ينفّسون تنفّس الغرقـــاء ، ويتكلمون شبيه المرضى ، وإنما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت وفوائده ، فإن ذلك من أخلاق الأنبياء وشعار الأصفياء ، ومن علم قدر الكلام أحسن صحبة الصمت، ومن أشرف على ما في لطائف الصمت وائتمنه على خزائنه ، كان كلامه وصمته كله عبادة ، ولا يطّلع على عبادته هـــذه إلا الملك الجبّار .

الباب السابع والأربعون

في العقل والهوى

قال الصادق عليه‌السلام : العاقل من كان ذلولاً عند إجابة الحق منصفاً بقوله ، جموحاً عند الباطل خصيماً بقوله يترك دنياه ولا يترك دينه ، ودليل العاقل شيئان صدق القول وصواب الفعل، والعاقل لا يحدث بما ينكره العقول ولا يتعرض للتهمة ولا يدع مدادات من ابتلى به ويكون العلم دليلهُ في أعماله والحلم رفيقه في أحواله والمعرفة يقينه في مذاهبه ، والهوى عدوّ العقل ومخالف الحق وقرين الباطل وقوة الهوى من الشهوات وأصل علامات الهوى من أكل الحرام ، والغفلة عن الفرائض والاستهانة بالسنن والخوض في الملاهي .

الباب الثامن والأربعون

في الحسد

قال الصادق عليه السلام : الحاسد يضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم عليه السلام الاجتباء والهدى والرفع إلى محل حقايق العهد والاصطفاء فكن محسوداً ولا تكن حاسداً ، فإن ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق مقسومٌ ، فماذا ينفع الحسد الحاسد وماذا يضرّ المحسود الحسد ، والحسد أصله من عمي القلب والجحود بفضل الله تعالى ، وهما جناحان للكفر ، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً ، ولا توبة للحاسد لأنه مستمرّ عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض مضرّ له ، ولا سبب والطبع ولا يتغيّر من الأصل وإن عولج .

الباب التاسع والأربعون

في الطمع

قال الصادق عليه السلام : بلغني أنه سئل كعب الأحبار ما الأصلح في الدين وما الأفسد ؟ فقال : الأصلح الورع والأفسد الطمع ، فقال له السائل: صدقت يا كعب والطمع خمر الشيطان يسقي بيده لخواصه ، فمن سكر منه لا يصحى إلا في أليم عذاب الله تعالى بمجاورة ساقيه ، ولو لم يكن في الطمع سخطةً إلا مشارات الدين بالدنيا لكان سخطاً عظيماً .

قال الله عز وجل : (أُولَئكَ الَّذِينَ اشتَرَوا الضَّلالة بالهُدى والعَذابَ بالمغفرة) .

قال أمير المؤمنين عليه‌السلام : تفضّل على من شئت فأنت أميره فاستَعِنْ عمّن شئت فأنت نظيره فافتقر إلى من شئت فأنت أسيره ، والطامع منزوع عنه الإيمان ، وهو لا يشعر لأن الإيمان يحجز بين العبد والطمع في الخلق ، فيقول يا صاحبي خزائن الله تعالى مملوءة من الكرامات ، وهو لا يضيّع أجر من أحسن عملاً ، وما في أيدي الناس مشوب بالعلل ويردّه إلى التوكّل والقناعة وقصر الأمل ولزوم الطاعة واليأس من الخلق ، فإن فعل ذلك لزمه فقد صلح ، وإن لم يفعل ذلك تركه مع شؤم الطبع وفارقه .

الباب الخمسون

في الفساد

قال الصادق عليه السلام : فساد الظاهر من فساد الباطن ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن خاف الله في السر لم يهتك الله علانيته ، ومن خان الله في السر هتك الله ستره في العلانية، وأعظم الفساد أن يرضي العبد بالغفلة عن الله تعالى ، وهذا الفساد يتولد من طول الأمل والحرص والكبر ، كما أخبر الله تعالى في قصة قارون في قوله تعالى : (ولا تبغي الفَسادَ في الأرضِ إنَّ اللّهَ لا يُحبُّ المُفسِدين) وقوله تعالى : (تِلكَ الدَّار الآخِرة نَجْعَلُهَا للَّذِين لا يُرِيدونَ عُلواً في الأرضِ ولا فَسَاداً إلخ) وكانت هذه

الخصال من صنع قارون واعتقاده، واصلها من حُبِّ الدنيا وجمعها ومتابعة النفس وإقامة شهواتها وحب المحمدة وموافقة الشيطان واتباع خطواته ، وكل ذلك يجتمع بحب الغفلة عن الله ونسيان مننه، وعدا ذلك[1] الفرار من الناس ورفض الدنيا وطلاق الراحة والانقطاع عن العادات وقطع عروق منابت الشهوات بدوام الذكر لله عز وجل ولزوم الطاعة له واحتمال جفاء الخلق وملازمة القرين وشماتة العدو من الأهل والقرابة ، فإذا فعلت ذلك فقد فتحت عليك باب عطف الله وحسن نظره إليك بالمغفرة والرحمة، وأخرجت من جملة الغافلين وفككت قلبك من أسر الشيطان ، وقدمت باب الله في معشر الواردين إليه وسلكت مسلكاً رجوت الأذن بالدخول على الكريم الجواد الكريم الرحيم.

---

(١) وعلى ذلك . خ ل .

الباب الواحد والخمسون

في السلامة

قال الصادق عليه السلام : اطلب السلامة أينما كنت وفي أي حال كنت لدينك وقلبك وعواقب أُمورك من الله عز وجل فليس من طلبها وجدها ، فكيف من تعرّض للبلاء وسلك مسالك ضد السلامة وخالف أُصولها ، بل رأى السلامة تلفاً ، والتلف سلامة ، والسلامة قد عزلت من الخلق في كل عصر خاصة في هذا الزمان ، وسبيل وجودها في احتمال جفاء الخلائق وأذيتهم والصبر عند الرزايا وخفة الموت والفرار من الأشياء التي تلزمك رعايتها والقناعة بالأقل من الميسور ، فإن لم تكن فالعزلة ، فإن لم

تقدر فالصمت وليس كالعزلة ، فإن لم تستطع فالكلام بما ينفعك ولا يضرك وليس كالصمت ، فإن لم تجد السبيل إليه فالأنقلاب في الأسفار من بلد إلى بلد [1] ، وطرح النفس في براري التلف بسرٍّ صاف وقلب خاشع وبدن صابر .

قال الله عز وجل : (إِنَّ الَّذِينَ تَتَوفاهُمُ الملائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِم قالوا فِيمَ كُنتُم ، قالوا كُنا مُستَضْعَفِينَ في الأرضِ ، قالوا أَلَم تَكُنْ أَرضُ اللَّهِ واسِعَةً فَتُهاجِروا) وتنتهز مغنم عباد الله الصَّالِحِينَ ولا تنافس الأشكال ولا تنازع الأضداد ، ومن قال لك أنا فقل أنت ولا تدع شيئاً وإن إحاط به علمك وتحققت به معرفتك ، ولا تكشف سرَّك إلا لمن هو أشرف منك في الدين فتجد الشرف، فإن فعلت ذلك أصبت السلامة وبقيت مع الله عز وجل بلا علاقة.

---

(١) في لآلىء الأخبار : عن رسول الله ﷺ سيأتي زمان على الناس لا يسلم الذي دين دينه حتى يفرّ من عين شاهق إلى عين « إلخ » .

الباب الثاني والخمسون

في العبادة

قال الصادق عليه السلام : داوم على تخليص المفروضات والسنن فإنهما الأصل ، فمن أصابهما وأداهما بحقهما ، فقد أصاب الكل، وإن خير العبادة أقربها بالأمن وأخلصها من الآفات وأدومها وإن أقل ، فإن سلم لك فرضك وسننك فأنت عابد واحذر أن تطأ بساط ملك إلا بالذل والافتقار والخشية والتعظيم ، واخلص حركاتك من الرياء وسرّك من القساوة، فإن النبي صلى الله عليه وآله قال: المصلي مناج ربه فاستحى من المطّلع على سرك ، والعالم بنجواك وما يخفي ضميرك ، وكن بحيث يراك لما أراد منك ودعاك إليه ، فكان السلف

لا يزالون يشغلون من وقت الفرائض إلى وقت الفرض في إصلاح الفرضين جميعاً في إخلاص حتى يأتوا بالفرضين جميعاً ، وأرى الدولة في هـــذا الزمان للفضائل على ترك الفرائض كيف يكون جسداً بلا روح .

قـــال علي بن الحسين عليه السلام : عجبت لطالب فضيلة تارك فريضة،وليس ذلك إلا لحرمان معرفة الأمر وتعظيمه وترك رؤية مشيئته بما أهّلهم لأمره واختارهم له .

الباب الثالث والخمسون

في التفكر

قال الصادق عليه السلام : اعتبر بما مضى من الدنيا ، هل ما بقي على أحد ، هل أحد فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدو ، فكذلك مالم يأت منها بما مضى أشبه من الماء بالماء .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كفى بالموت واعظاً وبالعقل دليلاً وبالتقوى زاداً وبالعبادة شغلاً وبالله مونساً وبالقرآن بياناً .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لم يبقَ من الدنيا إلا بـــلاء وفتنةً ، وما نجا من نجا إلا بصدق الإلتجاء .

وقال نوح عليه السلام : وجدت الدنيا كبيت له بابان دخلت من أحداهما وخرجت من الآخر ، هذا حال نجي الله عليه السلام ، فكيف حال من اطمأن فيها وركن إليها وضيّع عمره في عمارتهـــا ومزوّد في طلبها ، والفكرة مرآة الحسنات وكفّارة السيئات وضياء القلب وفسحة للخلق وإصابة في إصلاح المعاد واطّلاع على العواقب واستزادة في العلم وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فكرة ساعة خير من عبادة سنة ، ولا ينال منزلة التفكر إلا من قد خصه الله بنور المعرفة والتوحيد .

الباب الرابع والخمسون

في الراحة

قال الصادق عليه السلام : لا راحة لمؤمن على الحقيقة إلا عند لقاء الله تعالى وما سوى ذلك ، ففي أربعة أشياء صمت تعرف به حال قلبك ونفسك فيما يكون بينك وبين بارئك وخلوة تنجو بها من آفات الزمان ظاهراً وباطناً وجوعٌ تميت به الشهوات والوسواس وسهرٌ تنور به قلبك وتصفّي به طبعك وتزكّي به روحك.

(قال النبي صلى الله عليه وآله): من أصبح في سربه آمناً وفي بدنه معافاً ،وعنده قوت يومه فكأنما خيّرت له الدنيا بحذافيرها.

وقال وهب بن منبه في كتب الأولين والآخرين

مكتوبٌ : يا قناعة العز والغنى معك ، فاز من فاز بك .

قال ابو الدرداء : ما قسم الله لي ما يفوتني ولو كان في جناح ريح .

وقال أبو ذر (ره) : هتك سر من لا يثق بربّه ولو كان محبوساً في الصم الصياخيد، فليس أحد أخسر وأرذل وأنزل ممن لا يصدّق ربّه فيما ضمن له وتكفّل به من قبل أن خلقه وهو مع ذلك يعتمد على قوّته وتدبيره وجهده وسعيه ويتعدى حدود ربّه بأسباب قد أغناه الله تعالى لها .

الباب الخامس والخمسون

في الحرص

قال الصادق عليه السلام : لا تحرص على شيء لو تركته لوصل إليك ، وكنت عند الله تعالى مستريحاً محموداً بتركه ومذموماً باستعجالك في طلبه وترك التوكل عليه والرضا بالقسم ، فإن الدنيا خلقها الله تعالى بمنزلة الظل إن طلبته أتعبك ولا تلحقه أبداً ، وإن تركته تبعك وأنت مستريح .

قال النبي صلى الله عليه وآله : الحريص محروم وهو مع حرمانه مذموم في أي كان ، وكيف لا يكون محروماً ، وقد فرَّ من وثاق الله تعالى عز وجل ، وخالف قول الله تعالى : (الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) والحريص

بين سبع آفات صعبته فكر يضرّ بدنه ولا ينفعه وهمٌّ لا يتمّ له أقصاه وتعبٌ لا يستريح منـــه إلا عند الموت ، ويكون عند الراحة أشد تعباً وخوف لا يورثه إلا الوقوع فيه وحزنٌ قد كدّر عليه عيشه بلا فائدة وحساب لا مخلص له معه من عذاب الله تعالى إلا أن يعفو الله عنه وعقاب لا مفرَّ له منه ولا حيلة ، والمتوكل على الله تعالى يصبح ويمسي في كنف الله تعالى منه وهو في عافية ، وقد عجَّل الله كفايته وهيأ له من الدرجات ما الله تعالى به عليم والحرص ما يجري في منافذ غضب الله تعالى ، وما لم يحرم العبد اليقين لا يكون حريصاً ، واليقين أرض الإسلام وسماء الإيمان .

الباب السادس والخمسون

في البيان

قال الصادق عليه السلام : نجوى العارفين تدور على ثلاثة أُصول : الخوف ، والرجاء ، والحب ، فالخوف فرع العلم والرجاء فرع اليقين، والحب فرع المعرفة ، فدليل الخوف الهرب، ودليل الرجاء الطلب ، ودليل الحب إيثار المحبوب على ما سواه ، فإذا تحقق العلم في الصدق خاف ، وإذا صحّ الخوف هرب ، وإذا هرب نجا ، وإذا أشرف نور اليقين في القلب شاهد الفضل، وإذا تمكن من رؤية الفضل رجاء، وإذا وجد حلاوة الإيمان الرجاء طلب ، وإذا وفق للطلب وجد ، وإذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبة ،

وإذا هـــاج ريح المحبة واستأنس في ظلال المحبوب وأثر المحبوب على مـــا سواه ، وباشر أوامره واجتنب نواهيه واختارهما على كل شيء غيرهما ، وإذا استقام على بساط الأنس بالمحبوب مع أداء أوامره واجتناب معاصيه ونواهيه وصل إلى روح المناجات والقرب، ومثال هذه الأصول الثلاثة : كالحرم والمسجد والكعبة ، فمن دخل الحرم آمن من الخلق ، ومن دخل المسجد آمنت جوارحه أن يستعملها في المعصية ، ومن دخل الكعبة آمن قلبه من أن يشغله بغير ذكر الله تعالى (فانظر أيها المؤمن ، فإن كانت حالتك حالة ترضيها لحلول الموت فاشكر الله تعالى على توفيقه وعصمته وإن كانت أخرى فانتقل عنها بصحيح العزيمة واندم على ما قد سلف من عمرك في الغفلة واستعن بالله تعالى على تطهير الظاهر من الذنوب وتنظيفك الباطن من العيوب واقطع رباط الغفلة عن قلبك واطف نار الشهوة من نفسك) .

الباب السابع والخمسون

في الأحكام

قال الصادق عليه السلام : اعراب القلوب على أربعة أنواع رفعٌ وفتح وخفضٌ ووقف، فرفع القلب في ذكر الله تعالى وفتح القلب في الرضا عن الله تعالى ، وخفض القلب في الاشتغال بغير الله ، ووقف القلب في الغفلة عن الله تعالى ألا ترى أن العبد إذا ذكر الله بالتعظيم خالصاً ارتفع كل حجاب كان بينه وبين الله تعالى من قبل ذلك ، فإذا انقاد القلب لمورد قضاء الله تعالى بشرط الرضا عنه كيف ينفتح بالسرور والروح والراحة ، وإذا اشتغل القلب بشيء من أمور الدنيا وأسبابها ، كيف تجد ماذا ذكر الله بعد ذلك

وأناب منخفضاً مظلماً كبيت خراب خلو ليس فيها عمران ولا مؤنس، وإذا غفل عن ذكر الله تعالى كيف تراه بعد ذلك موقوفاً محجوباً قد قسى وأظلم منذ فارق نور التعظيم فعلامة الرفع ثلاثة أشياء : وجوه الموافقة ، وفقد المخالفة ودوام الشوق، وعلامـــة الفتح ثلاثة أشياء : التوكل ، والصدق ، واليقين، وعلامة الخفض ثلاثة أشياء : العجب، والرياء ، والحرص ، وعلامة الوقف ثلاثة أشياء : زوال حلاوة الطاعة ، وعـــدم مرارة المعصية ، والتباس العلم الحلال والحرام .

الباب الثامن والخمسون

في السواك

قال الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : السواك مُطهِّرٌ للفم مرضات للرب وجعلها من السنن المؤكدة وفيها منافع للظاهر والباطن ما لا يحصى لمن عقل فكما تزيل التلوث من أسنانك مأكلك ومطعمك بالسواك ، كذلك نازل نجاسة ذنوبك بالتضرع والخشوع والتهجد والاستغفار بالأسحار وطهر ظاهرك من النجاسات وباطنك من كدورات المخالفات وركوب المناهي كلها خالصاً لله ، فإن النبي صلى الله عليه وآله ضرب باستعمالها مثلاً لأهل التنبه واليقظة ، وهو أن السواك

نبات لطيف نظيف وغصْن شجر مبارك ، والأسنان خلق خلقه الله تعـــالى في الفم آلةً للأكل وأداةً للمضغ وسبباً لاشتهاء الطعام وإصلاح المعدة وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبته تمضيغ الطعام وتتغيّر بها رائحة الفم ويتولد منها الفساد في الدماغ، فإذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللّطيف ومسحها على الجوهرة الصافية أزال عنها الفساد والتغيّر وعادت إلى أصلها ، كذلك خلق الله القلب طاهراً صافياً وجعل غذائه الذكــر والفكر والهيبة والتعظيم ، وإذا شيب القلب الصافي بتغذيته بالغفلة والكدر صقّل بمصلقة التوبة ونظفت بماء الأنابة ليعود حالته الأولى وجوهره الأصلية .

قال الله تبارك وتعالى : (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَوّابينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرينَ) .

قال النبي ﷺ : وعليكم بالسواك ، فإن النبي ﷺ

أمر بالسواك في ظاهر الأسنان ، وأراد هذا المعني والمثل ومن أناخ تفكّره على باب عتبة العبرة في استخراج مثل هذه الأمثال في الأصل والفرع، فتح الله له عيون الحكمة والمزيد من فضله والله لا يضيّع أجر المحسنين .

الباب التاسع والخمسون

في التبرّز

قال الصادق عليه السلام : إنمـــا سمي المستراح مستراحاً لاستراحة الأنفس من أثقـــال النجاسات واستفراغ الكثافات والقذر فيها ، والمؤمن يعتبر عندها أن الخالص من الطعام والحطام الدنيا ، كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها وبتركها ، ويفرغ نفسه وقلبه من شغل ويستنكف عن جمعها وأخذهـا استنكافةً عن النجاسة والغائط والقذر ، ويتفكّر في نفس المكرمة في حال كيف تصير ذليلاً في حـال ويعلم أن التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين ، فـإن الراحة من هوان الدنيا

والفراغ من التمتع بها ، وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة ، فينطق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها ، ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع والندم والحياء ويجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب الزلفى ، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر والكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان الله تعالى في دار القرار ويذوق طعم رضاه ، فإن المعول ذلك وما عداه فلا شيء .

الباب الستون

في الطهارة

قال الصادق عليه السلام : إذا أردت الطّهارة والوضوء فتقدم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله تعالى، فإن الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ، ودليلاً إلى بساط خدمته وكما أن رحمة الله تطهّر ذنوب العباد ، كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير .

قال الله تعالى: (وَهُوَ الذِي أَرسلَ الرِّيَاحَ بُشراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً) . وقال الله تعالى: (وَجعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شيءٍ حَيٍّ أَفلا يُؤمِنونَ) . فكما أحيا به كل شيء من نعيم الدنيا، كذلك

برحمته وفضله جعل حيوة القلب والطاعات والتفكّر في صفاء الماء ورقّته وطهره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وتعبّدك بأدائها في فرائضه وسننه ، فإن تحت كل واحدة منها فوائد كثيرة ، فإذا استعملها بالحرمة انفجرت لك عيون فوائده عن قريب ، ثم عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء يؤدي كل شيء حقه ، ولا يتغيّر عن معناه معبراً لقول الرسول ﷺ مثل المؤمن المخلص كمثل الماء ، ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسماه طهوراً وطهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء .

الباب الواحد والستون

في دخول المسجد

قال الصادق عليه السلام : إذا بلغت باب المسجد ، فاعلم أنك قد قصدت باب ملك عظيم لما يطأ بساطه إلا المطهرون ولا يؤذن لمجالسته إلا الصديقين ، فتهب القدوم إلى بساط هيبة الملك فإنك على خطر عظيم إن غفلت ، فاعلم انه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك ، فإن عطف عليك برحمته وفضله قبل منك يسير الطاعة وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً ، وإن طالبك باستحقاقه الصدق والإخلاص عدلاً بك، حجبك وردَّ طاعتك ، وإن كثرت وهو فعَّالٌ لما يريد واعترف بعجزك وتقصيرك وانكسارك

وفقرك بين يديه ، فإنك قد توجّهت للعبادة له والموانسة به واعرض عليه ولتعلم أنــــه لا يخفى عليه أسرار الخلايق أجمعين ، وعلانيتهم وكن كأفقر عباده بــــين يديه وأخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك ، فإنـه لا يقبل إلا الأطهر والأخلص ، انظر من أي ديوان يخرج اسمك ، فإن ذُقَت حَلاَوَة مناجاته ولذيذ مخاطباته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن إقباله عليك وإجابته ، فقــــد صلحت لخدمته فادخل فلك الإذن والأمان ، وإلا فقف وقوف من قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه الأمل وقضى عليه الأجل ، فإن علم الله عز وجل من قلبك صدق الإلتجاء إليه ، نظر إليك بعين الرأفة والرحمة واللطف ، ووفقك لما يحب ويرضى فإنه كريم يحب الكرامة وعبادة المضطرين إليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته .

قـال الله تعالى : (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُوء.

الباب الثاني والستون

في الدعاء

قال الصادق عليه السلام : احفظ أدب الدعاء وانظر من تدعو كيف تدعو ولماذا تدعو وحقق عظمة الله وكبريائه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرّك ، وما تكن وما تكون فيه من الحق والباطل واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله تعالى بشيء عسى فيه هلاكك وأنت تظن أن فيه نجاتك .

قال الله تعالى : (وَيَدعُو الإِنسان بالشرّ دعائه بالخير وَكَانَ الإنسانُ عَجُولاً) وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويباً لمهجة في

مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعاً وتسليم الأمور كلها ظاهراً وباطناً إلى الله تعالى ، فإن لم تأت بشرط الدعاء ، فلا تنظر الإجابة ، فإنه يعلم السر وأخفى ، فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرك خلاف ذلك .

قال بعض الصحابة لبعضهم : أنتم تنتظرون المطر وأنا أنتظر الحجر ، واعلم أنه لو لم يكن الله أمرنا بالدعاء ، لكان إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالإجابة، فكيف قد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء .

وسُئل رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم ، فقال ﷺ : كل اسم من أسماء الله أعظم ففرغ قلبك عن كل ما سواه وادعه تعالى بأي اسم شئت فليس لله في الحقيقة اسمٌ دون اسم ، بل هو الله الواحد القهار .

قال النبي ﷺ : إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاهٍ .

قال الصادق عليه السلام : إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه

إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم ، ولا يكن رجاه إلا من عند الله عز وجل ، فإذا علم الله تعالى ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه، فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء وأخلصت سرك لوجهه ، فابشر بإحدى ثلاث : إما أن يعجل لك ما سئلت ، وإما أن يدخر لك ما هو أفضل منه ، وإما أن يصرف منك من البلاء ما لو أرسله إليك لهلكك .

قال النبي ﷺ : قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى للسائلين .

قال الصادق عليه السلام : لقد دعوت الله مرة فاستجاب لي ونسيت الحاجة لأن استجابته باقباله على عبده عند دعوته أعظم وأجل مما يريد منه العبد ولو كانت الجنة ونعيمها الأبدي وليس يعقل ذلك إلا العاملون المحبون العارفون صفوة الله وخواصه .

الباب الثالث والستون

في الصوم

قال الصادق عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله: الصوم جُنّة من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة ، فإذا صُمت فانوِ بصومك كف النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان والشياطين، وانزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاماً ولا شراباً ، وتوقع في كل لحظة شفاك من مرض الذنوب وطهّر باطنك من كل كذب وكدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله تعالى ، قيل لبعضهم إنك ضعيف ، وإن الصيام يضعفك ، قال : إني أعده بشر يوم طويل والصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذابه.

وقال رسول الله ﷺ : قال تعال : الصوم لي وأنا أجزى به ، والصوم يميت مراد النفس وشهوة الطمع وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وجُلّ الإلتجاء إلى الله تعالى وسبب إنكسار الهمة وتخفيف السيئات وتضعيف الحسنات ، وفيه من الفوائد ما لا يحصى ، وكفى بما ذكرناه منه لمن عقله ووفق لاستعماله إن شاء الله تعالى .

الباب الرابع والستون

في الزهد

قال الصادق عليه السلام : الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله تعالى من غير تأسّف على فوتها ولا إعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا تطلب محمدة عليها ولا غرض لها ، بل يرى فوتها راحة وكونها آفة ، ويكون أبداً هارباً من الآفة معتصماً بالراحة ، الزاهد الذي يختار الآخرة ، والذل على العز والدنيا ، والجهد على الراحة، والجوع على الشبع ، وعافية الأجل على المحنة العاجل ، والذكر على الغفلة ، وتكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة .

قال رسول الله ﷺ : حب الدنيا رأس كل خطيئة.

وقال رسول الله ﷺ : الدنيا جيفة وطالبها كلاب ألا ترى كيف أحب ما أبغضه الله ، وأي خطيئة أشد جرماً من هذا .

قال بعض أهل البيت : لو كانت الدنيا بأجمعها لقمة في فم طفل لرحمناه ، فكيف حال من نبذ حدود الله تعالى وراء ظهوره في طلبها والحرص عليها ، والدنيا دار لو حسنت سكناها لما رحمتك ولما أجبتك وأحسنت وداعك.

قال رسول الله ﷺ : لما خلق الله تعالى الدنيا أمرها بطاعته، فأطاعت ربّها فقال لها : خالفي من طلبك ووافقي من خالفك ، وهي على ما عهد الله إليها وطبعها بها .

الباب الخامس والستون

في صفة الدنيا

الدنيا بمنزلة صورة رأسها الكبر وعينها الحرص وأذنها الطمع ولسانها الرياء ويدها الشهوة ورجلها العجب وقلبها الغفلة وكونها الفناء وحاصلها الزوال ، فمن أحبَّها أورثته الكبر، ومن استحسنها أورثته الحرص، ومن طلبها أورثته الطمع ، ومن مدحها ألبسته الرياء ، ومن أرادها مكنته من العجب ، ومن ركن إليها أولته الغفلة ، ومن أعجبه متاعها أفتنته ، ولا تبقى له ، ومن جمعها وبخل بها ردّتها إلى مستقرها وهي النار .

الباب السادس والستون

في المتكلف

قال الصادق عليه السلام : المتكلف متخلف عن الصواب ، وإن أصاب والمتطوع مصيبٌ ، وإن أخطأ والمتكلف لا يستجلب في عاقبة أمره إلا الهوان ، وفي الوقت إلا التعب والعناء والشقاء ، والمتكلف ظاهره رياء وباطنه نفاق ، وهما جناحان يطير بهما المتكلف ، وليس في الجملة من أخلاق الصالحين ولا من شعار المؤمنين ، المتكلف في أي باب كان .

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله : (قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيه مِنْ أَجرٍ ، وَمَا أَنا مِنَ الْمُتَكلفينَ) .

قال صلى الله عليه وآله : نحن معاشر الأنبياء والأتقياء والأمناء

براء من المتكلف، فاتق الله تعالى و استقم نفسك عن التكلف فيطبعك بطباع الإيمان، ولا تشتغل بلباس آخره البلاء وطعام آخره الخلاء ودارٍ آخره الخراب ومال آخره الميراث وأخوات آخرهم الفراق وعزٍ آخره الذل ووفاءٍ آخره الجفاء وعيش آخره الحسرة.

الباب السابع والستون

في الغرور

قال الصادق عليه السلام : المغرور في الدنيا مسكين ، وفي الآخرة مغبون لأنه باع الأفضل بالأدنى ، ولا تعجب من نفسك ، فربما اغتررت بمالك وصحة جسدك ، ان لعلك تبقى ، وربما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم ، وربما اغتررت بجمالك ومنبتك وأصابتك ما مولك وهواك ، فظننت أنك صادق ومصيب ، وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك في العبادة ، ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك ، وربما أقمت نفسك على العبادة متكلفاً ، والله يريد الإخلاص ، وربما

توهمت أنك تدعو الله وأنت تدعو سواه ، وربما حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك ، وربما ذممت نفسك وأنت تمدحها على الحقيقة ، واعلم أنك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني إلا بصدق الإنابة إلى الله تعالى والاخبار له ومعرفة عيوب أحوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم ولا يحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة وأئمة الهدى ، وإن كنت راضياً بما أنت فيه ، فما أحد أشقى بعلمه وعمله منك وأضيع عمراً فأورثت حسرة يوم القيامة .

الباب الثامن والستون

في صفة المنافق

قال الصادق عليه السلام: المنافق قد رضي ببعده عن رحمة الله تعالى لأنه يأتي بأعماله الظاهرة شبيهاً بالشريعة، وهو لاهٍ ولاغٍ وباغٍ بالقلب عن حقها مستهزىء فيها، وعلامة النفاق قلة المبالات بالكذب والخيانة والوقاحة والدعوى بلا معنى واستخانة العين والسفه والغلط وقلة الحياء واستصغار المعاصي واستيضاع أرباب الدين واستخفاف المصائب في الدين والكبر والمدح ومدح الحب وحب المدح والحسد وإيثار الدنيا على الآخرة، والشر على الخير،

والحث على النميمة وحب اللهو ومعرفة أهل الفسق ومعونة أهـــل البغي والتخلف عن الخيرات وتنقص أهلها واستحسان ما يفعله من سوء واستقباح مـا يفعله غيره من حسن وأمثال ذلك كثيرة .

وقد وصف الله المنافقين في غير موضع ، قال تعالى : (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) . في التفسير أي : (فإنْ أَصابَهُ خيرٌ إطمأَنَّ بِهِ ، وَإِن أَصابَتْهُ فِتنَةٌ إنقَلَبَ عَلَى وَجهِهِ خَسِرَ الدُنيا وَالآخِرَة ، ذَلِكَ هُوَ الخُسران المُبين) .

قـال تعالى في وصفهم : (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤمنينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنوا وَمَا يَخدَعُونَ إلاَّ أَنفُسِهِم وَمَا يَشعُرُونَ فِي قلوبهم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّه مَرَضاً) .

قال النبي ﷺ : المنافق مَنْ إذا وَعَدَ خَلَفَ ، وإذا

فعل أساء ، وإذا قال كذب ، وإذا أئتمن خان ، وإذا رزق طاش ، وإذا منع عاش ، وقال أيضاً من خالفت سريرته علانيته فهو منافق كائناً من كان ، وحيث كان وفي أي زمن كان وعلى أي رتبة كان .

الباب التاسع والستون

في حسن المعاشرة

قال الصادق عليه السلام : حسن المعاشرة مع خلق الله تعالى في غير معصية من مزيد فضل الله تعالى عند عبده ، ومن كان خاضعاً لله في السرّ كان حسن المعاشرة في العلانية ، فعاشر الخلق لله تعالى ولا تعاشرهم لنصيبك لأمر الدنيا ، ولطلب الجاه والرياء والسمعة، ولا تقطن بسببها عن حدود الشريعة من باب المماثلة والشهرة، فإنهم لا يغنون عنك شيئاً وتفوتك الآخيرة بلا فائدة .

الباب السبعون

في الأخذ والعطاء

قال الصادق عليه السلام : من كان الأخذ أحب إليه من الإعطاء فهو مغبون لأنه يرى العاجل بغفلته أفضل من الآجل ، وينبغي للمؤمن إذا أخذ أن يأخذ بحق ، وإذا أعطى ففي حق وبحق ومن حق ، فكم من آخذ معطى دينه وهو لا يشعر ، وكم من معطي مورث بنفسه سخط الله ، وليس الشأن في الأخذ والإعطاء ، ولكن الناجي من اتق الله في الأخذ والإعطاء واعتصم بحبل الورع ، والناس في هاتين الخصلتين خاص وعام ، فالخاص ينظر في دقيق الورع ، فلا يتناول حتى يتيقن أنه حلال ، وإذا أشكل

عليه تناول عند الضرورة ، والعام ينظر في الظاهر ، فما لم يجده ولا يعلمه غصب ولا سرقة ، تناول وقال : لا بأس هو لي حلال، والأمر في ذلك بينٌ يأخذ بحكم الله عز وجل وينفق في رضى الله عز وجل .

الباب الواحد والسبعون

في المواخاة

قال الصادق عليه‌السلام : ثلاثة أشياء في كل زمان عزيزة وهي : الإخاء في الله تعالى والزوجة الصالحة الأليفة تعينه في دين الله عز وجل ، وولد الرشيد ومن وجد الثلاثة فقد أصاب خير الدارين والحظ الأوفر من الدنيا والآخرة واحذر ان تواخي من أرادك الطمع أو خوف أو ميل أو مال أو أكل أو شرب ، واطلب مواخاة الأتقياء ولو في ظلمات الأرض ، وإن أفنيت عمرك في طلبهم ، فإن الله عز وجل لم يخل على وجه الأرض أفضل منهم بعد النبيين ، وما أنعم الله تعالى على العبد بمثل مـــا أنعم به من التوفيق

بصحبتهم .

قال الله تعالى : (الأخلّاءُ يَوْمَئِذٍ لِبَعضٍ عَدُوٌّ إلاَّ المُتَّقينَ) ، وأظن أنَّ من طلب صديقاً في زماننا هـذا بلا عيب بقي بلا صديق ، ألا ترى إن أول كرامة أكرم الله بها أنبيائه عند إظهار دعوتهم صديق أمين أو وليّ ، فكذلك من أجلّ ما أكرم الله به أصدقائه وأوليائه وأصفيائه وأُمنائه وصحبته أنبيائه ، وذلك دليل على أن ما في الدارين بعد معرفة الله تعالى نعمة أجل وأطيب وأزكى من الصحبة في الله عز وجل والمواخاة لوجه الله تعالى .

الباب الثاني والسبعون

في المشاورة

قال الصادق عليه السلام: شاور في أمورك مما يقتضي الدين من فيه خمس خصال: عقل وعلم وتجربة ونصح وتقوى، وإن تجد فاستعمل الخمسة واعزم وتوكل على الله تعالى، فإن ذلك يؤديك إلى الصواب، وما كان من أمور الدنيا التي هي غير عائدة إلى الدين فاقضها ولا تتفكر فيها، فإنك إذا فعلت ذلك أصبتَ بركة العيش وحلاوة الطاعة، وفي المشاورة اكتساب العلم، والعاقل من يستفيد منها علماً جديداً ويستدل به على المحصول من المراد، ومَثَل المشورة مع أهلها مثل التفكّر في خلق السموات والأرض وفنائهما

وهما غيبان لأنه كلما قوّى تفكّره فيهما غاص في بحار نور المعرفـــة وازداد بهما اعتباراً ويقيناً ، ولا تشاور من لا يصدقه عقلك ، وإن كان مشهوراً بالعقل والورع ، وإذا شاورت من يصدّقه قلبك ، فلا تخالفه فيما يثير به عليك ، وإن كان بخلاف مرادك ، فإن النفس تجمع عن قبول الحق وخلافها عند قبول الحقايق أبين .

قال الله تعالى : (وَشَاوِرهُم فِي الأمرِ) وقال تعالى : (وَأَمْرهُم شورُرَى بيْنَهُم) أي متشاورون فيه .

الباب الثالث والسبعون

في الحلم

قال الصادق عليه السلام : الحلم سراج الله يستضيء به صاحبه إلى جواده ، ولا يكون حليماً إلا المؤيد بأنوار المعرفة والتوحيد، والحلم يدور على خمسة أوجه أن يكون عزيزاً فيذلّ ، أو يكون صادقاً فيتهم، أو يدعو إلى الحق فيُستخَفّ به ، أو أن يؤذي بلا جرم ، أو أن يطلب بالحق يخالفوه فيه ، فإذا أتيت كلاً منها حقّه فقد أصبتَ ، وقابل السفيه بالإعراض عنه وترك الجواب ، تكن الناس أنصارك لأن من حارب السفيه فكأنه قد وضع الحطب على النار .

قال النبي ﷺ : مثل المؤمن كمثل الأرض منافعهم منها إذا هم عليها ، ومن لا يصبر على جفاء الخلق لا يصل إلى رضى الله تعالى ، لأن رضى الله تعالى مشوب بجفاء الخلق ، وحكى أن رجلاً قال لأحنف بن قيس : إياك أعني ، قال : وعنك أحلم .

قال رسول الله ﷺ : بُعثت للحلم مركزاً وللعلم معدناً وللصبر مسكناً ، صدق رسول الله ﷺ : وحقيقة الحلم أن تعفو عمَّن أساء إليك وخالفك وأنت القادر على الإنتقام منه كما ورد في الدعاء : إلهي أَنتَ أَوسَعُ فَضلاً وَأَوسَعُ حلِماً مِنْ أَن تُؤاخِذني بِعَمَلي وَتَستَذِلَّني بِخَطِيئَتي .

الباب الرابع والسبعون

في الاقتداء

قال الصادق عليه السلام : ليس الاقتداء إلا بصحة قسمه الأرواح في الأول وامتزاج نور الوقت بنور الأزلي ، وليس الاقتداء بالتوسم بحركات الظاهرة والنسب إلى أولياء الدين من الحكماء والأئمة .

قال الله عز وجل: (يَوَم نَدعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإمَامِهِمْ) أي من كان اقتدى بمحق فهو زكي .

وقال الله عز وجل : (فَإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَساءَلون) .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : الأرواح جُنودٌ مجَنَّدة ،

فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، وقيل لمحمد ابن الحنفية : من أدبك ؟ فقـــال: أدبني ربي في نفسي، فما استحسنت من أولي الألباب والبصيرة تبعتهم به واستعملته وما استقبحت من الجهّال اجتنبته وتركته مستقراً،فاوصلني ذلك إلى طريق العلم ولا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء لأنه المنهج الأوضح والمقصد الأصح .

قال الله عز وجل لأعزّ خلقه مُحمَّد ﷺ : (أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّه فَبِهداهم اقتدِه) .

وقال عز وجل : (ثُمَّ أَوحَينَا إلَيْكَ ان اتّبعْ مِلَّةَ إِبرَاهِيمَ حَنيفاً) . فلو كان لدين الله تعالى عز وجل مسلك أقوم من الاقتداء لندب أنبيائه وأوليائه إليه .

قال النبي ﷺ : في القلوب نورٌ لا يضيء إلا من اتّباع الحق وقصد السبيل ، وهو من نور الانبياء مودّع في قلوب المؤمنين .

الباب الخامس والسبعون

في العفو

قـــال الصادق عليه السلام : العفو عند القدرة من سنن المرسلين وأسرار المتقين ، وتفسير العفو ألا تلزم صاحبك فـــيما أجرم ظاهراً ، وتنسى من الأصل مـا أصيب منه باطناً وتزيد على الاختيارات إحساناً ، ولن تجـد إلى ذلك سبيلاً إلا من قد عفى الله عنه وغفر له مـا تقدم من ذنبه وما تأخر عنه وزيّنه بكرامته وألبسه من نور بهائه ، لأن العفو والغفران صفتان من صفات الله تعالى أودعهما في أسرار أصفيائه ليتخلقوا مع الخلق بأخلاق خالقهم وجاعلهم. لذلك قال الله عز وجل : (وَليعفوا وَليَصفَحوا ان

لا تحِبُّونَ أن يَغْفِرَ اللّهُ لكُمُ وَاللّهُ غفور رَحِيمٌ) ومن لا يعفو عن بشر مثله ، كيف يرجو عفو ملك جبّار .

قال النبي ﷺ حاكياً عن ربّه يأمره بهذه الخصال قال : صِل مَنْ قَطَعَكَ وَاعفُ عَمن ظلمك ، واعط من حَرَمك وَاحسِن إلى من أساء إليك ، وقد أمرنا بمتابعته لقول الله عز وجل : (وَمَا آتاكُمُ الرَسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) ، فالعفو سرّ الله في القلوب قلوب خواصه فمن يسر له سره ، وقال رسول الله ﷺ أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم، قيل يا رسول الله : وما ابو ضمضم ؟ قال ﷺ : رجل من قبلكم كان إذا أصبح يقول: اللَّهُمَّ إني قد تَصدَّقت بعرضي على الناس عامة .

الباب السادس والسبعون

في الموعظة

قال الصادق عليه السلام : أحسن الموعظة ما لا تجاوز القول حد الصدق ، والفعل حد الاخلاص ، فإن مثل الواعظ والمتعظ كاليقظان والراقد ، فمن استيقظ عن رقدة غفلته ومخالفاته ومعاصيه صلح أن يوقظ غيره من ذلك الرقاد ، وأما الساير في مفاوز الاعتداء والخائض في مراتع الغيّ وترك الحياء باستحباب السمعة والرياء والشهرة والتضيع إلى الخلق المتزيّ بزيّ الصالحين ، المظهر عمارة باطنه ، وهو في الحقيقة خال عنها قد غمرتها وحشته حب المحمدة وغشيتها ظلمة الطمع ، فما أفتنه بهواه واضلّ الناس بمقاله .

قال الله عز وجل: (لَبِئسَ المَولى وَلَبِئسَ المَصير).
وأما من عصمه الله بنور التوحيد والتأييد وحسن التوفيق فطهّر قلبه من الدنس فلا يفارق المعرفة والتقي فيستمع الكلام من الأضل وترك قائله كيفما كان ، قالت الحكماء : خذ الحكمة ولو من أفواه المجانين .

قال عيسى عليه السلام : جالسوا من يذكركم الله ورؤيته ولقائه فضلاً عن الكلام ، ولا تجالسوا من توافقه ظواهركم وتخالفه بواطنكم ، فإن ذلك المدّعي بما ليس له إن كنتم صادقين فاستقادتكم ، فإذا لقيت من ثلاث خصال فاغتنم رؤياه ولقاه ومجالسته ولو كان ساعة ، فإن ذلك يؤثر في دينك وقلبك وعبادتك بركاته ، فمن كان كلامه لا يجاوز فعله ، وفعله لا يجاوز صدقه ، وصدقه لا ينازع ربّه ، فجالسه بالحرمة وانتظر الرحمة والبركة واحذر لزوم الحجة عليك ، وراع وقته كيلا تلومه فتخسر وانظر إليه بعين فضل الله عليه وتخصيصه له وكرامته إياه .

الباب السابع والسبعون

في الوصية

قال الصادق عليه السلام : أفضل الوصايا وألزمها أن لا تنسى ربك وأن تذكره دائماً ولا تعصيه ، وتعبد قاعداً وقائماً ، ولا تغتر بنعمته واشكره أبداً ، ولا تخرج من تحت أستار رحمته وعظمته وجلاله، فتضلّ وتقع في ميدان الهلاك، وإن مسك البلاء والضراء واحرقتك نيران المحن، واعلم أن بلاياه محشوة بكراماته الأبدية ، ومحنه مورثة رضاه وقربه ولو بعد حين ، فيا لها من أنعم لمن علم ووفق لذلك .

روى أن رجلاً استوصى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال

ﷺ: لا تغضب قط، فإن فيه منازعة ربك، فقال: زدني، فقال ﷺ: إياك وما تعتذر منه، فإن فيه الشرك الخفي. فقال: زدني، فقال ﷺ: صلّ صلاة مودع، فإن فيه الوصلة والقربى، فقال: زدني، فقال ﷺ: استحي من الله تعالى استحيائك من صالحي جيرانك، فإن فيها زيادة اليقين، وقد أجمع الله ما يتواصى به المتواصون من الأولين والآخرين في خصلة واحدة وهي (التقوى).

قال الله عز وجل: (وَلَقَد وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُم وَإِيَّاكُمْ أَن اتَّقُوا اللهَ) وفيه جماع كل عبادة صالحة، وبه وصل من وصل إلى الدرجات العلى والرتبة القصوى، وبه عاش من عاش بالحياة الطيبة والانس الدائم.

قال الله عز وجل: (إِنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدَ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ).

الباب الثامن والسبعون

في التوكل

قال الصادق عليه السلام : التوكل كأسٌ مختومٌ بختام الله عز وجل ، فلا يشرب بها ولا ينفض ختامها إلا المتوكلون كما قال تعالى : (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) وقال تعالى : (وَعَلَى اللهَ فَتَوَكَّلوا إن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) ، جعل الله التوكل مفتاح الإيمان ، والإيمان قفل التوكل ، وحقيقة التوكل الايثار ، واصل الايثار تقديم الشيء بحقه ، ولا ينفك المتوكل في توكله من إثبات أحد الايثارين ، فإن أثر المعلول وهو الكون حجب به ، وإن أثر المعلّل علة التوكل وهو الباري سبحانه وتعالى بقي معـــه ، وإن أردت أن

تكون متوكلاً لا متعللاً ، فكبّر على روحك خمسة تكبيرات وودّع أمانيك كلها توديع الموت للحياة ، وليس أدنى حدّ التوكل إلا تسابق مقدومك بالهمة ولا تطالع مقسومك ولا تستشرف معدومك فتنتقض بأحدهما عقد إيمانك وأنت لا تشعر ، وإن عزمت أن تقف على بعض شعار المتوكلين في توكله من إثبات أحد الايثارين حقاً ، فاعتصم بعروة هذه الحكاية ، وهي أنه روى أن بعض المتوكلين قدم على بعض الأئمة عليهم السلام فقال له : أعطف عليّ بجواب مسألة في التوكل ، والإمام عليه السلام كان يعرف الرجل بحسن التوكل ونفيس الورع وأشرف على صدقه فيما سئل عنه من قبل إبدائه إياه ، فقال له : قف أوط مكانك وانظرني ساعة فبنينا هو مطرق لجوابه إذا اجتاز بهما فقير ، فأدخل الامام عليه السلام يده في جيبه وأخرج شيئاً فناوله الفقير ، ثم أقبل على السائل فقال له : هات وسل عما بدا لك ، فقال السائل : أيها الامام كنت أعرفك قادراً متمكناً من جواب مسألتي

قبل أن استنظرتني ، فما شأنك في ابطائك عني ؟ فقـــال : الايمان لتعتبر المعنى قبل كلامي إذا لم أكن أراني ساهياً بسرّي وربّي مطلع عليه أن أتكلم بعلم التوكل ، وفي جيبي دانق ، ثم لم يحل لي ذلك إلا بعد إيثاره فافهم ، فشهق السائل شهقةً وحلف ألا يأوى عمراناً ولا يأنس ببشر ما عاش .

الباب التاسع والسبعون

في تبجيل الاخوان

قال الصادق عليه السلام : مصافحة إخوان الدين أصلها من محبة الله لهم .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ما تصافح إخوان في الله إلا تناثرت ذنوبهما حتى يعودان كيوم ولدتهما أُمهما ولا كثر حبهما وتبجيلهما كل واحد لصاحبه إلا كان له مزيد والواجب على أعلمهما بدين الله أن يريد صاحبه في فنون الفرائد التي ألزمه الله بها ويرشده إلى الاستقامة والرضا والقناعة ، ويبشّر برحمة الله ويخوفه من عذابه ، وعلى الاخوان يتبارك باهتدائه ويمسك ما يدعوه إليه ، ويعظه به

ويستدل بما يدل إليه معتصماً بالله ومستعيناً به لتوفيقه على ذلك .

قيل لعيسى بن مريم عليه السلام : كيف أصبحت ؟ قال : لا أملك نفع ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحذره مأموراً بالطاعة ومنهياً عن المعصية ، فلا أرى فقير أفقر مني .

وقيل لأويس القرني : كيف أصبحت ؟ قال : كيف يصبح رجل إذا أصبح لا يدري أيمسي ، وإذا أمسى لا يدري أيصبح .

قال أبو ذر (ره) : أصبحت أشكر ربّي وأشكر نفسي .

قال النبي صلى الله عليه وآله : من أصبح وهمته غير الله ، فقد أصبح من الخاسرين المعتدين .

الباب الثمانون

في الجهاد والرياضة

قال الصادق عليه السلام : طوبى لعبد جاهد الله نفسه وهواه ، ومن هزم جند هواه ظفر برضى الله ، ومن جاوز عقله نفسه الأمارة بالسوء بالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله تعالى، فقد فاز فوزاً عظيماً ولا حجاب أظلم وأوحش بين العبد وبين الله تعالى من النفس والهوى ، وليس لقتلهما وقطعهما سلاح وآلة مثل الافتقار إلى الله سبحانه ، والخشوع والجوع والظماء بالنهار، والسهر بالليل ، فإن مات صاحبه مات شهيداً ، وإن عاش واستقام أداه عاقبته إلى الرضوان الأكبر .

قال الله عز من قائل: (وَالَّذِينَ جَاهَدوا فينَا لنَهْدِينَّهُم سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللّهَ لَمعَ الُمحْسِنِينَ) وإذا رأيت مجتهداً أبلغ منك في الاجتهاد فوبّخ نفسك وَلِهـــاً وَعَيّرْها تحثيثاً على الازدياد عليه، واجعل لها زماماً من الأمر وعناناً من النهي وسقها كالرايض الفادة التي لا يذهب عليـــه خطوة من خطواتها إلا وقـد صحح أولها وآخرها ، وكان رسول الله ﷺ يصلي حتى يتورم قدماه وقال: أفـــلا أكون عبداً شكوراً ، أراد ﷺ أن يعتبر به امته ، فـلا يغفلوا عن الاجتهاد والتعب والرياضة بحـــالٍ ألا إنك لو وجدت حـلاوة عبادة الله ، ورأيت بركاتها واستضئتَ بنورها لم تصبر عنها ساعة واحدة ولو قطعت إرباً إرباً ، فما أعرض من أعرض عنها إلا بحرمان فوائـــد السلف من العصمة والتوفيق ، قيل لربيع بن خيثم ما لك لا تنام بالليل؟ قال : لأني أخاف البيات .

الباب الواحد والثمانون

في ذكر الموت

قال الصادق عليه السلام : ذكر الموت يميت الشهوات في النفس ويقطع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد الله ، ويرق الطبع ويكسر اعلام الهوى ويطفي نار الحرص ويحقر الدنيا ، وهو معنى ما قال النبي صلى الله عليه وآله : فكر ساعة خير من عبادة سنة ، وذلك عند ما تحل أطناب خيام الدنيا وتشدّها بالآخرة ، ولا يسكن نزول الرحمة عند ذكر الموت بهذه الصفة، ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيّره في القيامة، فلا خير فيه.

قال النبي صلى الله عليه وآله : اذكروا هادم اللّذات ، قيل : وما

هو يا رسول الله ﷺ ؟ فقال ﷺ : الموت ما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا ، ولا في شدة إلا اتسعت عليه،والموت أول منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا ، فطوبى لمن أكرم عند النزول بأولها ، وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها ، والموت أقرب أشياء من بني آدم وهو يعده أبعد،فما أجرى الانسان على نفسه ، وما أضعفه من خلق ، وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين ، ولذلك اشتاق من اشتاق الموت وكره من كره .

قال النبي ﷺ : من أحب لقاء الله ، أحب الله لقائه ومن كره لقاء الله ، كره الله لقائه .

الباب الثاني والثمانون

في حسن الظن

قال الصادق عليه السلام : حسن الظن أصله من حسن إيمان المرء وسلامة صدره ، وعلامته أن يرى كلّما نظر إليه بعين الطهارة والفضل من حيث ركب فيه وقذف في قلبه من الحياء والأمانة والصيانة والصدق .

قال النبي صلى الله عليه وآله : أحسنوا ظنونكم بإخوانكم تغتنموا بها صفاء القلب وإنقاء الطبع .

وقال أُبيّ بن كعب : إذا رأيتم أحد إخوانكم في خصلة تستنكرونها منه ، فتأولوها بسبعين تأويلاً ، فإن اطمأنت قلوبكم على أحدها وإلا فلوموا أنفسكم حيث

لم تعذروه ، وأن تقدروا في خصلة يسرها عليه سبعين تأويلاً ، فأنتم أولى بالانكار على أنفسكم منه ، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام : ذكر عبادي من آلائي ونعمائي ، فإنهم لم يروا مني إلا الحسن الجميل لئلا يظنوا في الباقي إلا مثل الذي سلف مني إليهم ، وحسن الظن يدعو إلى حسن العبادة والمغرور يتمادى في المعصية ويتمنى المغفرة ولا يكون أحسن الظن في خلق الله إلا المطيع له يرجو ثوابه ويخاف عقابه .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يحكي عن ربّه أنا عند حسن ظنّ عبدي بي يا محمد صلى الله عليه وآله ، فمن زاغ عن وفاء حقيقة موهبات ظنّه بربّه ، فقد أعظم الحجة على نفسه ، وكان من المخدوعين في أسر هواه .

الباب الثالث والثمانون

في التفويض

قال الصادق عليه السلام المفوّض أمره إلى الله في راحة الأبد والعيش الدائم الرغد، والمفوّض حقاً هو العالي عن كل همة دون الله تعالى كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :

رضيت بما قسم الله لي وفوّضت أمري إلى خالقي

كما أحسن الله مما مضى كذلك يحسن فيما بقى

وقال الله عز وجل في مؤمن آل فرعون : (وأُفوّض أَمري إِلى اللّه ، إِنَّ اللّه بصيرٌ بالعِبَاد فوقاه اللّه سَيئات مَا مَكَروا وَحَاقَ بآلِ فرعَونَ سَوء العذاب) .

والتفويض خمسة أحرف : لكل حرف منها حكمٌ ، فمن

أتى بأحكامه ، فقد أتى به التاء من تركه التدبير في الدنيا ، والفاء من فناء كل همة غير الله ، والواو من وفـــاء العهد وتصديق الوعد ، والياء اليأس من نفسك واليقين بربّك ، والضاد الضمير الصافي لله والضرورة إليه ، والمفوّض لا يصبح إلا سالماً من جميع الآفات،ولا يمسى إلا معافاً بدينه.

الباب الرابع والثمانون

في اليقين

قال الصادق عليه السلام : اليقين يوصل العبد إلى كل حال سني ومقام عجيب ، كذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله : عن عظم شأن اليقين حين ذكر عنده أن عيسى عليه السلام كان يمشي على الماء .

فقال صلى الله عليه وآله : لو زاد يقينه لمشى على الهواء، فدلّ بهذا على أن الأنبياء مع جلالة محلهم من الله ، كانت يتفاضل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية بزيادة اليقين على الأبد ، والمؤمنون أيضاً متفاوتون في قوّة اليقين وضعفه ، فمن قوى منهم يقينه فعلامته التبرّي من الحول والقوة إلا بالله

والاستقامة على أمر الله وعبادته ظاهراً وباطناً ، قد استوت عنده حالتا العدم والوجود ، والزيادة والنقصان ، والمدح والذم ، والعزّ والذل ، لأنه يرى كلها من عين واحد، ومن ضعف يقينه تعلّق بالأسباب ورخص لنفسه بذلك، واتّبع العادات وأقاويل الناس بغير حقيقة، والسعي في أمر الدنيا وجمعها وامساكها مقراً باللسان ، أنه لا مانع ولا معطى إلا الله ، وأن العبد لا يصيب إلا ما رُزِق وقسّم له ، والجهد لا يزيد في الرّزق وينكر ذلك بفعله وقلبه .

قال الله تعالى : (يَقُولونَ بِأَفوَاهِهِم مَا لَيسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعلَمُ بِمَا يَكتُمُونَ) .

إنما عطف الله تعالى بعباده حيث أذن لهم بالكسب والحركات في باب العيش ما لم يتعدّ حدود الله ولم يتركوا فرائضه وسنن نبيّه في جميع حركاتهم ، ولا يعدلوا عن مهجة التوكل ، ولا يقفوا في ميدان الحرص، فأما إذا نسوا ذلك وارتبطوا بخلاف ما حدّ لهم كانوا من الهالكين الذين

ليس معهم في الحاصل إلا الدعاوى الكاذبة، وكل مكتسب لا يكون متوكلاً ، فلا يستجلب من كسبه إلى نفسه إلا حراماً وشبهةً ، وعلامته أن يؤثّر ما يحصل من كسبه ، ويجوع وينفق في سبيل الدنيا ، ولا يمسك، والمأذون بالكسب : من كان بنفسه مكتسباً وبقلبه متوكلاً ، وإن كثر المال عنده قام فيه كالأمين عالماً بأن يكون ذلك المال وفوته سواء ، وإن أمسك أمسك لله ، وإن أنفق أنفق فيما أمره الله عز وجل ، ويكون منعها واعطائها لله تعالى .

الباب الخامس والثمانون

في الخوف والرجاء

قال الصادق عليه السلام : الخوف رقيب القلب ، والرجاء شفيع النفس، ومن كان بالله عارفاً ، كان من الله خائفاً وإليه راجياً ، وهما جناحا الإيمان يطير بهما العبد المحقق إلى رضوان الله ، وعينا عقله يبصر بهما إلى وعد الله تعالى ووعيده والخوف طالع عدل الله باتقاء وعيده ، والرجاء داعي فضل الله وهو يحيي القلب والخوف يميت النفس .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المؤمن بين خوفين : خوف ما مضى ، وخوف ما بقى ، وبموت النفس يكون حياة القلب ، وبحياة القلب البلوغ إلى الاستقامة ، ومن عبد الله

تعـــالى على ميزان الخوف والرجاء ، لا يضل ويصل إلى مأموله،وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم بما يختم صحيفته ولا له عمل يتوسّل بـه استحقاقاً ، ولا قدرة له على شيء ولا مفرٍّ ، وكيف لا يرجو وهو يعرف نفسه بالعجز وهو غريق في بحر آلاء الله ونعمائه من حيث لا تحصى ولا تعد ، والمحبّ يعبد ربه على الرجاء بمشاهدة أحواله بعين سهر ، والزاهد يعبد على الخوف .

قال اويس لهرم بن حيان: قد عمل الناس على الرجاء، فقال : بل تعمل على الخوف ، والخوف خوفان : ثابت ومعارض، فالثابت من الخوف يورث الرجاء ، والمعارض منه يورث خوفاً ثابتاً ، والرجاء رجاءان منه : عاكف وباد فالعاكف منه يورث خوفاً ثابتاً يقوي نسبة المحبة ، والبادي منه يصح أمل العجز والتقصير والحياة .

الباب السادس والثمانون

في الرضا

قال الصادق عليه السلام : صفة الرضاء أن يرضي المحبوب والمكروه ، والرضاء شعاع نور المعرفة ، والراضي فان عن جميع اختياره ، والراضي حقيقة هو المرضى عنه ، والرضا اسم يجتمع فيه معاني العبودية ، وتفسير الرضا سرور القلب . سمعت أبي محمد الباقر عليه السلام يقول : تعلّق القلب بالموجود شرك ، وبالمفقود كفر ، وهما جناحان من سنة ، وأعجب بمن يدّعي العبودية لله ، كيف ينازعه في مقدوراته ، حاشا الراضين العارفين عن ذلك .

الباب السابع والثمانون

في البلاء

قال الصادق عليه السلام : البلاء زين للمؤمن وكرامةٌ لمن عقل لأن في مباشرته الصبر عليه ، والثبات عنده تصحيح نسبة الإيمان .

قال النبي صلى الله عليه وآله : نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء والمؤمنون الأمثل فالأمثل ، ومن ذاق طعم البلاء تحت سر حفظ الله له تلذذ به أكثر من تلذّذه بالنعمة ، واشتاق إليه إذا فقده ، لأن تحت ميزان البلاء والمحنة أنوار النعمة ، وتحت أنوار النعمة ميزان البلاء والمحنة ، وقد ينجو من البلاء ويهلك في النعمة كثير ، وما أثنى الله على عبد من

عباده من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلا بعد ابتلائه ، ووفاء حق العبودية فيه ، فكرامات الله في الحقيقة نهايات بداياتها البلاء ، وبدايات نهاياتها البلاء . ومن خرج من سكة البلوى ، جعـــل سراج المؤمنين ومؤنس المقربين ودليل القاصدين ، ولا خير في عبد شكى من محنة تقدمها آلاف نعمة واتبعها آلاف راحة ، ومن لا يقضي حق الصبر في البلاء ، حرم قضاء الشكر في النعماء ، كذلك من لا يؤدي حق الشكر في النعماء ، يحرم عن قضاء الصبر في البلاء ، ومن حرمهما فهو من المطرودين .

وقال أيوب عليه السلام في دعائه: اللّهم قد أتى عليّ سبعون في الراحة والرخاء حتى تأتي عليّ سبعون في البلاء .

وقال وهب بن منبه : البلاء للمؤمن كالشكال للدابة ، والعقال للإبل .

وقال علي عليه السلام : الصبر من الايمـــان كالرأس من الجسد ، ورأس الصبر البلاء ، وما يعقلها إلا العاملون .

الباب الثامن والثمانون

في الصبر

قال الصادق عليه السلام : الصبر يظهر ما في بواطن العباد من النور والصفاء ، والجزع يظهر ما في بواطنهم من الظلمة والوحشة ، والصبر يدّعيه كل أحد ، وما يثبت عنده إلا المخبتون ، والجزع ينكره كل أحد وهو أبين على المنافقين لان نزول المحنة والمصيبة مخبر عن الصادق والكاذب، وتفسير الصبر ما يستمر مذاقه ، وما كان عن اضطراب لا يسمى صبراً ، وتفسير الجزع اضطراب القلب وتحزن الشخص وتغير اللّون وتغير الحال ، وكل نازلة خلت أوائلها من الأخبات والانابة والتضرع إلى الله فصاحبها جزوع غير

صابر ، والصبر ما أوله مُرٌّ وآخره حلوٌ لقوم ، ولقوم مُرٌّ أوله وآخره ، فمن دخله من أواخره فقد دخل، ومن دخله من أوائله فقد خرج ، ومن عرف قدر الصبر لا يصبر عما منه الصبر .

قال الله تعالى في قصة موسى بن عمران عليه السلام وخضر : (وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لم تُحِطْ بِهِ خُبْراً) ، فمن صبر كرهاً ولم يشك إلى الخلق، أولم يجزع بهتك ستره فهو من العام ونصيبه ما قال الله عز وجل : (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) أي بالجنة والمغفرة، ومن استقبل البلاء بالرحب وصبر على سكينة ووقار فهو من الخاص ، ونصيبه ما قال تعالى : (إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

الباب التاسع والثمانون

في الحزن

قال الصادق عليه السلام : الحزن من شعار العارفين لكثرة موارادات الغيب على سرائرهم وطول مباهاتهم تحت ستر الكبرياء ، والمحزون ظاهره قبض وباطنه بسط يعيش مع الخلق عيش المرضى ، ومع الله عيش القربى ، والمحزون غير المتفكّر، لأن المتفكّر متكلّف ، والمحزون مطبوع، والحزن يبدو من الباطن ، والتفكر يبدو من رؤية المحدثات وبينهما فرق .

قال الله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام : (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إلى الله وَاعلَمُ مَا لا تَعلَمُون) . فبسبب ما

تحت الحزن علم خصّ به من الله دون العالمين .

قيل لربيع بن خيثم مالك محزون قال : لأني مطلوب ويمين الحزن الإنكسار ، وشماله الصمت ، والحزن يختص به العارفون لله ، والتفكّر يشترك فيه الخاص والعام ، ولو حجب الحزن عن قلوب العارفين ساعة لاستغاثوا ولو وضع في قلوب غيرهم لاستنكروه ، فالحزن أول ثانيه الأمن والبشارة ، والتفكّر ثان أوله تصحيح الإيمان بالله والافتقار إلى الله عز وجل بطلب النجاة، والحزين متفكر والمتفكر معتبر ، ولكل واحد منهما حال وعلم وطريق وحلم وشرف .

الباب التسعون

في الحياء

قال الصادق عليه السلام : الحياء نور جوهره صدر الإيمان وتفسيره التثبت عند كل شيء ينكره التوحيد والمعرفة .

قال النبي صلى الله عليه وآله : الحياء من الايمان ، فيقبل الحياء بالايمان ، والايمان بالحياء ، وصاحب الحياء خير كله ، ومن حرم الحياء فهو شر كله ، وإن تعبد وتورع ، وإن خطوة يتخطاه في ساحات هيبة الله بالحياء منه إليه خير له من عبادة سبعين سنة ، والوقاحة صدر النفاق والشقاق والكفر .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا لم تستح فاعمل ما شئت أي إذا فارقت الحياء ، فكل ما عملت من خير وشر فأنت

بـــه معاقب ، وقوة الحياء من الحزن والخوف ، والحياء مسكن الخشية ، والحيــــاء أوله الهيبة وآخره الرؤية ، وصاحب الحياء مشتغل بشأنه معتزل من الناس مزدجر عما هم فيه ولو تركوا صاحب الحياء ما جالس أحداً .

قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بعبد خيراً لهاه عن محاسنه ، وجعل مساويه بـــين عينيه ، وكرهه مجالسة المعرضين عن ذكر الله ، والحياء خمسة أنواع : حياء ذنب وحياء تقصير ، وحياء كرامة ، وحياء حب ، وحياء هيبة ولكل واحد من ذلك أهل ، ولأهله مرتبة على حده .

الباب الواحد والتسعون

في المعرفة

قال الصادق عليه السلام : العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله ، لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه ، والعارف أمين ودايع الله وكنز أسراره ومعدن أنواره ودليل رحمته على خلقه ، ومطية علومه وميزان فضله وعدله قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ، ولا مؤنس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله ، ومع الله ومن الله فهو في رياض قدسه متردّد ، ومن لطائف فضله إليه متزوّد والمعرفة أصل وفرعه الايمان .

الباب الثاني والتسعون

في حب الله

قال الصادق عليه السلام : حب الله إذا أضاع على سر عبده أخلاه عن كل شاغل وكل ذكر سوى الله ، والمحب أخلص الناس سراً لله وأصدقهم قولاً وأوفاهم عهداً وأذكاهم عملاً وأصفاهم ذكراً وأعبدهم نفساً تتباهى الملائكة عند مناجاته وتفتخر برؤيته ، وبـه يعمّر الله تعالى بلاده وبكرامته يكرم الله عباده يعطيهم إذا سألوه بحقه، ويدفع عنهم البلايا برحمته ولو علم الخلق ما محلّه عند الله ، ومنزلته لديه ما تقرّبوا إلى الله إلا بتراب قدميه .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : حب الله نارٌ لا يمرّ على

شيء إلا احترقه ، ونور الله لا يطّلع على شيء إلا أضاء وسماء الله ما ظهر من سحاب تحته من شيء إلا غطاه، وريح الله ما تهب في شيء إلا حركته ، وماء الله يحيي به كل شيء وأرض الله ينبت منها كل شيء ، فمن أحب الله أعطاه كل شيء من الملك والملك .

قال النبي ﷺ : إذا أحب الله عبداً من أمتي قذف في قلوب أصفيائه وأرواح ملائكته وسكان عرشه محبته ليحبوه ، فذلك المحب حقاً طوبى له ثم طوبى له، وله عند الله شفاعة يوم القيامة .

الباب الثالث والتسعون

في الحب لله

قال الصادق عليه السلام : المحب في الله، محب لله، والمحبوب في الله ، حبيب الله لأنهما لا يتحابان إلا في الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المرء مع من أحب ، فمن أحب عبداً في الله ، فإنما أحب الله تعالى ، ولا يحب الله تعالى إلا من أحبه الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أفضل الناس بعد النبيين في الدنيا والآخرة لله المتحابون فيه ، وكل حب معلول يورث فيه عداوة إلا هذين وهما من عين واحدة يزيدان أبداً ولا ينقصان أبداً .

قال الله تعالى : (الإخِلاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ عَدّو إلا المُتّقينَ) ، لأن أصل الحب التبري عن سواء المحبوب .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن أطيب شيء في الجنة وألذّهُ حب الله ، والحب في الله والحمد لله .

قال الله عز وجل : (وآخرُ دَعواهُمْ أنِ الحَمْدُ للّهِ رَبِ العَالَمينَ) .

وذلك أنهم إذا عاينوا ما في الجنة من النعيم، هاجت المحبة في قلوبهم فينادون عند ذلك والحمد لله رب العالمين .

الباب الرابع والتسعون

في الشوق

قال الصادق عليه السلام : المشتاق لا يشتهي طعاماً ولا يلتذ شراباً ولا يستطيب رقاداً ولا يأنس حميماً ولا يأوي داراً ولا يسكن عمراناً ولا يلبس ثياباً ولا يقر قراراً ، ويعبد الله ليلاً ونهاراً راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه ويناجيه بلسان الشوق معبّراً عما في سريرته كما أخبر الله تعالى عن موسى عليه السلام في ميعاد ربّه: (وَعَجلتُ إِليْكَ رَبِّي لِتَرَضى).

وفسّر النبي صلى الله عليه وآله عن حاله : أنه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى ربه ، فإذا دخلت ميدان الشوق فكبّر على

نفسك ومرادك من الدنيا، وودع جميع المألوفات واصرفه عن سوى مشوقك ، ولبّ بين حياتك وموتك، لبّيك اللهم لبّيك عظم الله أجرك ، ومثل المشتاق مثل الغريق ، ليس له همة إلا خلاصه ، وقد نسي كل شيء دونه .

الباب الخامس والتسعون

في الحكمة

قال الصادق عليه‌السلام : الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمرة الصدق ، ولو قلت ما أنعم الله على عبد بنعمة أعظم وأنعم وأجزل وأرفع وأبهى من الحكمة للقلب .

قال تعالى : (يُؤتي الحِكمَة مَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُؤتي الحِكمَة ، فَقَدْ أُوتِي خَيراً كَثيراً وَمَا يَذكر إلا أُولُوا الألبَاب) . أي لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلا من استخلصه لنفسي وخصصته بها ، والحكمة هي النجاة، وصفة الحكمة الثبات عند أوائل الأمور والوقوف عند

عواقبها ، وهو هاوي خلق الله إلى الله تعالى .

قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : لأن يهدي الله على يديك عبداً من عباده خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس من مشارقها إلى مغاربها .

الباب السادس والتسعون

في الدعوى

قال الصادق عليه السلام : الدعوى بالحقيقة للأنبياء والأئمة والصديقين ، وما المدعي بغير واجب ، فهو كإبليس اللعين ادعى النسك ، وهو على الحقيقة منازع لربّه مخالف لأمره ، فمن ادعى أظهر الكذب ، والكاذب لا يكون أميناً ، ومن ادعى فيما لا يحل له عليه فتح له أبواب البلوى ، والمدعي يطالب بالبينة لا محالة ، وهو مفلس فيفتضح ، والصادق لا يقال له لِمَ .

قال علي عليه السلام : الصادق لا يراه أحد إلا هابه .

الباب السابع والتسعون

في العِبرة

قال الصادق عليه السلام : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله : المعتبر في الدنيا عيشه فيها كعيش النائم يراهـا ولا يمسّها ، ويزيد عن قلبه و نفسه باستقباحه معاملات المغرورين بها ما تورثه الحساب والعقاب ، ويتبدل بها مـــا تقرّبه من رضى الله وعفوه ، ويغسّل بمـاء زوالها مواضع دعوتها إليه ، وتزين نفسها إليه ، فالعبرة تورث صاحبها ثلاثة أشياء : العلم بمـا يعمل ، والعمل بما يعلم ، والعلم بمـا لا يعلم ، والعبرة أصلها أول يخشى آخره ، وآخر قد تحقق الزهد في أوله ، ولا يصح الاعتبار إلا لأهل الصفاء والبصيرة .

قال الله تعالى : (فَاعْتبروا يَا أُولِي الأَبصَارِ).قال تعالى أيضاً : (فإنها لَا تَعْمي الأَبصَارَ ، وَلَـكِنْ تَعْمَى القُلُوب الَّتي فِي الصدُورِ). فمن فتح الله عين قلبه وبصيرته بالإعتبار ، فقد أعطاه منزلة رفيعة وملكاً عظيماً .

الباب الثامن والتسعون

في القناعة

قال الصادق عليه السلام : لو حلف القانع بتملكه على الدارين لصدقه الله عز وجل بذلك ، ولا بره لعظم شأن مرتبة القناعة ، ثم كيف لا يقنع العبد بما قسّم الله له وهو يقول : (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَعيشَتَهُم فِي الحيَاةِ الدنيَا). فمن أذعن وصدقه بما شاء ، ولما شاء بلا غفلة ، وأيقن بربوبيته أضاف تولية الأقسام إلى نفسه بلا سبب، ومن قنع بالمقسوم استراح من الهم والكرب والتعب ، وكلما أنقص من القناعة زاد في الرغبة ، والطمع في الدنيا أصل كل شر وصاحبها لا ينجو من النار إلا أن يتوب .

ولذلك قال ﷺ : القناعة ملك لا يزول ، وهي مركب رضى الله تعالى تحمل صاحبها إلى داره ، فاحسن التوكل فيما لم تعطه ، والرضا بما أعطيت ، واصبر على ما أصابك ، فإن ذلك من عزم الأمور .

الباب المائـة

في الغيبة

قال الصادق عليه السلام : الغيبة حرام على كل مسلم مأثوم صاحبها في كل حال، وصفة الغيبة: أن تذكر أحداً بما ليس هو عند الله عيب أو تذم ما تحمده أهل العلم فيه ، وأمـــا الخوض في ذكر الغائب بما هو عند الله مذموم ، وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة، وإن كره صاحبه إذا سمع به،وكنت أنت معافاً عنه وخالياً منه ، ويكون في ذلـك مبيناً للحق من الباطل ببيان الله تعـــالى ورسوله صلى الله عليه وآله ، ولكن على شرط أن لا يكون للقائل بذلك مراد غـــير بيان الحق والباطل في دين الله عز وجل ، وأما إذا أراد بـــه نقص

المذكور بغير ذلك المعنى، فهو مأخوذ بفساد مراده وإن كان صواباً ، وإن اغتبت مبلغ المغتاب فاستحل منه ، فإن لم تبلغه ولم تلحقه ، فاستغفر الله له ، والغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، أوحى الله عز وجل إلى موسى بن عمران عليه السلام : المغتاب هو آخر من يدخل الجنة إن تاب ، وإن لم يتب ، فهو أول من يدخل النار .

قال الله تعالى : (أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يأكلَ لحم أخيه مَيتاً فَكَرِهتمُوه) . ووجوه الغيبة تقع بذكر عيب في الخلق والعقل والفعل والمعاملة والمذهب والجهل وأشباهه.

وأصل الغيبة متنوع بعشرة أنواع : ١ ـ شفاء غيض. ٢ ـ ومساعدة قوم . ٣ ـ وتهمة . ٤ ـ وتصديق خبر بلا كشفه . ٥ ـ وسوء ظن . ٦ ـ وحسد . ٧ ـ وسخرية . ٨ ـ وتعجّب . ٩ ـ وتبرّم . ١٠ ـ وتزين .

فإن أردت الإسلام فاذكر الخالق لا المخلوق ، فيصير لك مكان الغيبة عبرةً ، ومكان الإثم ثواباً .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
في العبودية	٥
« «	٧
« غض البصر	٩
« المشي	١١
« العلم	١٣
« الفتياء	١٦
« الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	١٨
« آفة العلماء	٢٠
« الرعاية	٢٢
« الشكر	٢٤
« الخروج من المنزل	٢٦
« قراءة القرآن	٢٨
« اللباس	٣٠
في الرياء	٣٢
« الصدق	٣٤
« الإخلاص	٣٦
« التقوى	٣٨
« الورع	٤٠
« المعاشرة	٤٢
« النوم	٤٤
« الحج	٤٧
« الزكاة	٥١
« النية	٥٣
« الذكر	٥٥
« آفة القراء	٥٧
« بيان الحق والباطل	٥٩
« معرفة الأنبياء	٦١

الموضوع	الصفحة

في معرفة الأئمة عليهم السلام ٦٣
» معرفة الصحابة ٦٧
» حرمة المؤمنين ٦٩
» برّ الوالدين ٧٠
» التواضع ٧٢
» الجهل ٧٥
» الأكل ٧٧
» الوسوسة ٧٩
» العجب ٨١
» السخاء ٨٢
» الحساب ٨٥
» افتتاح الصلاة ٨٧
» الركوع ٨٩
» السجود ٩١
» التشهد ٩٣
» السلام ٩٥
» التوبة ٩٧
» العزلة ٩٩
» الصمت ١٠١
» العقل والهوى ١٠٣
في الحسد ١٠٤
» الطمع ١٠٥
» الفساد ١٠٧
» السلامة ١٠٩
» العبادة ١١١
» التفكر ١١٣
» الراحة ١١٥
» الحرص ١١٧
» البيان ١١٩
» الأحكام ١٢١
» السواك ١٢٣
» التبزر ١٢٦
» الطهارة ١٢٨
» دخول المسجد ١٣٠
» الدعاء ١٣٢
» الصوم ١٣٥
» الزهد ١٣٧
» صفة الدنيا ١٣٩
» المتكلف ١٤٠
» الغرور ١٤٢

الموضوع	الصفحة
في صفة المنافق	١٤٤
» حسن المعاشرة	١٤٧
» الأخذ والعطاء	١٤٨
» المواخاة	١٥٠
» المشاورة	١٥٢
» الحلم	١٥٤
» الاقتداء	١٥٦
» العفو	١٥٨
» الموعظة	١٦٠
» الوصية	١٦٢
» التوكل	١٦٤
» تبجيل الاخوان	١٦٧
» الجهاد والرياضة	١٦٩
» ذكر الموت	١٧١
» حسن الظن	١٧٣
» التفويض	١٧٥
في اليقين	١٧٧
» الخوف والرجاء	١٨٠
» الرضا	١٨٢
» البلاء	١٨٣
» الصبر	١٨٥
» الحزن	١٨٧
» الحياء	١٨٩
» المعرفة	١٩١
» حب الله	١٩٢
» الحب لله	١٩٤
» الشوق	١٩٦
» الحكمة	١٩٨
» الدعوى	٢٠٠
» العبرة	٢٠١
» القناعة	٢٠٢
» الغيبة	٢٠٤